الجديد

١٩٨٠ • 1980

العدد ٨ آب ١٩٨٠ * الثمن ٢٠ ل. ا. * מס' 8 .No - מחיר 30 ל"י - Price: 30 IL

ليغلق سجن الموت في نفحة!



ماذا نقدم لك

AL-JADEED אל-ג'דיד

الجديد

مجلة شهرية ثقافية — تأسست فى حيفا عام ١٩٥١

✶

عنوان هيئة التحرير :
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ — (وادى النسناس)
ص.ب ١٠٤
تلفون ٦٦٦٦٤٨ (٠٤)

✶

عنوان الادارة :
حيفا
شارع الحريرى ٩
ص.ب ١٠٤
تلفون ٥١١٢٩٦ — ٧ (٠٤)

✶

تطبع فى :
حيفا
شارع الوادى ٤٢
تلفون ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

✶

المحرر المسؤول : المحامى حنا نقارة

✶

فى هذا العدد

رأي الجديد

نشر في هذا العدد قصتين ، القصة الاولى بعنوان ((دائرة الرعب)) بقلم مهدي قاسم ، والقصة الثانية بعنوان ((الذي رأى)) بقلم سليم فرحان .

ومن الممكن القول انهما وجهان لقطعة نقد واحدة على الرغم من ان الاولى تعمم وضعا سائدا دون ان تحدد هوية قومية او قطرية .. في حين في وسع القارىء ان يكتشف انتماء الثانية الى العراق ..

وفي حين تصف الاولى سادية الدكاتير (جمع ديكتاتور) في كل قطر يصل فيها احد هؤلاء الى سدة الحكم على جماجم المواطنين ويحتفظ بسلطته عبر حمامات الدم .. تصف الثانية ما يجري في زنازين الانظمة الديكتاتورية من تعذيب يفقد الضحية توازنها الفكري ومقوماتها الانسانية ، بعد ان يدمرها جسمانيا ويطحن معنوياتها الذاتية .

اننا لا نعتبر هاتين القصتين احسن النماذج الادبية في هذا اللون من الادب العربي في المرحلة الراهنة . واخترناهما لتزامن صدورهما في صحيفة واحدة ولانها ترسم بواقعية ، ولو فجة في القصة الاولى ، الاوضاع السائدة في بعض الاقطار العربية اليوم ..

والحقيقة ان دم الضحايا المراق في شوارع وزنازين العراق والسعودية ، مثلا ، يكاد ينفجر نوافير في القصص والدواوين الشعرية العربية .. ويغمر الساحة الادبية بحيث لا يخلو موقع يملاه ادب يتعامل مع المجتمع بمظاهره وصراعاته واحاسيسه الاخرى .

ولذلك لم يكن من قبيل المصادفة ان يضع الكتاب والشعراء والصحفيون العرب ، في مؤتمراتهم العامة والاقليمية الاخيرة ، قضية الحريات الدمقراطية في المرتبة الاولى عند ابحاثهم ومقرراتهم .

* * *

ولكن كل هذا النتاج الادبي في العالم العربي ، بفظاعته المروعة ، لا يقترب من حقيقة ما يجري في سجون اسرائيل ((الدمقراطية)) !! حسب مفاهيم حكامها واساتذتهم في الارهاب الكولونيالي العنصري في واشنطن .

الادب الوحشي والتعذيب الإسرائيلي

لقد كشف اضراب اسرى سجن نفحة الصحراوي الرهيب ، الذي امتد الى سائر السجون الاسرائيلية ، اهوال التعذيب المعنوي والجسماني الذي يحل بالمعتقلين والمحكومين الفلسطينيين .

وتدل المعطيات الموثوقة ان ((نزلاء)) زنازين ((نفحة)) وغيرها ، بعد ان يمروا في جهنم التحقيق وتصدر بحقهم احكام السجن القاسية ، يعانون اشكالا جديدة من التعذيب السادي وتتحول حياتهم اليومية الى جحيم يخلقه لهم سجانون ، فقدوا المشاعر الانسانية وجعلتهم عنصريتهم المحمومة زبانية من الشياطين .

ومن الخطأ الفادح ان نصب الاتهام كله على السجانين الساديين ، او المساجين اليهود الذين يعاونونهم على اقتراف جرائمهم بحق الاسرى الفلسطينيين .. فالسلطات المسؤولة ، بامر الحكام ، هي التي خلقت ادوات التعذيب بل صممت سجن نفحة وبنته ليكون وسيلتها لاشاعة مناخ الجحيم .

وبدون هذا التقويم الصحيح لا يمكن ان نفهم تقييد الاسرى بالسلاسل .. وزجهم على هذا الوجه من الازدحام بحيث يعيش ثمانية منهم في زنزانة (ولا نقول غرف) مساحتها ١٨ مترا مربعا .. وحصرهم في هذه ((الزنازين)) ٢٢ ساعة في اليوم والليل الواحد .. وحرمانهم من السرائر التي تخفف عنهم اتعابهم الجسمانية .. ومن الصحف والكتب التي تمنحهم بعض الغذاء الروحي ــ المعنوي ..

اننا نعجز عن وصف حالة هؤلاء الاسرى الذين يطلبون المساواة في الغذاء فلا يجدونه وتفرض عليهم وجبات الجوع ... ويطالبون بالعلاج الطبي فيواجهون بالصد والاهمال حتى يصل الى النية المبيتة على القتل .. ومثل الكثيرين نشك في ان وفاة الاسرى الثلاثة محمد علي الجعفري وراسم محمد حلاوة وانيس محمود دوله كان بسبب ((الاطعام الاجباري)) كما زعم المسؤولون .

وكيف نصدق هذا الزعم والمحامون الذين يزورون هؤلاء الاسرى يسمعون بانفسهم السجانين وهم يصبون اللعنات الوضيعة والشريرة على رؤوس الاسرى ويعلنون ان مكانهم القبر .. ولو استطاعوا لقطعوهم إربا إربا وصنعوا من لحومهم ((ستيكات)) !!

اين يمكن ان نجد امثلة على مثل هذه التعابير المشحونة بالتعطش للدم والحقد العنصري البهيمي ؟..

(البقية على ص ٤٢)

الاسلام والعملية الثورية في المرحلة الراهنة

بقلم دكتور اميل توما

في العدد الماضي ، في الحلقة الاولى ، من دراسة « الاسلام والعملية الثورية » عالجنا التطورات التي اقترنت بها حركة التحرر القومي في العالم العربي وتطرقنا الى دور الاسلام فيها .. وقد توقفنا عند المرحلة التي اعقبت الثورة الاشتراكية الكبرى وقيام الاممية الشيوعية .. وفي هذه الحلقة ، الثانية ، نواصل هذه الدراسة فنبحث موقع الاسلام في حركة التحرر القومي في المنطقة حتى المرحلة الراهنة .

تأكيد القومية ..

اجتاحت المستعمرات في اعقاب الثورة الاشتراكية الكبرى (١٩١٧) والحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) موجة ثورية من موجات الكفاح من اجل التحرر القومي .. وبتأثير الثورة الاشتراكية اصبح مطلب حق تقرير المصير والاستقلال القومي قوة مادية دافعة تجابه به الشعوب الدول الامبريالية ، وبخاصة بريطانيا وفرنسا ، اللتين اتفقتا على اقتسام اقاليم الدولة التركية (السلطنة العثمانية سابقا) .

وامتدت موجة التحرر القومي الثورية في الشرق العربي من مصر التي انفجرت فيها ثورة ١٩١٩ حتى العراق (حيث نشبت ثورة ١٩٢٠ الجبارة) .. وفي جميع الحالات اكدت الشعوب على هويتها القومية اقليمية كانت ، كما كان الحال في مصر ، او عربية جامعة ، كما كان الحال في منطقة الهلال الخصيب (العراق وسوريا الكبرى او سوريا الطبيعية اي سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) .

وفي العراق ساهمت القيادة الاسلامية الدينية ، ومركزها النجف ، مساهمة هامة في الثورة .. الا انها لم تهمل في نشاطها الثوري ماهية الكفاح القومي .. بل اكدت عروبة المعركة الى جانب تاكيدها شعاراتها الاسلامية التحررية .

وفي سنوات العشرين ، بعد ان استنفذت الموجة الثورية طاقتها وحققت بعض الانجازات غير الجوهرية بسبب ضعف حركات التحرر القومي وعنف القمع الامبريالي .. ظهرت في مصر « الرابطة الشرقية » [1] ومن اغراضها : « نشر المعارف والاداب والفنون الشرقية وتعميمها وتوسيع نطاقها وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين امم الشرق على اختلاف اجناسها واديانها ، وعقد مؤتمرات دورية في جهات متعددة لتبادل الافكار في شؤون الجمعية » .

كذلك تضمن قانونها « التوسط لاقرار السلام بين الشعوب الشرقية ، والتعاون على اسعاد وتقدم الانسانية دون تمييز بسبب الجنس او الدين ، وتنظيم دراسات جغرافية وتاريخية واجتماعية وعلمية وادبية خاصة بالشرق .. والدعوة الى مؤتمرات دورية لمناقشة الوسائل التي تؤدي الى تقدم الامم الشرقية معنويا والتوفيق بين حضارتها وحضارة البلاد الغربية طبقا لمقتضيات العصر » [2] .

وليست اهمية هذه الرابطة في نشاطها .. فهي حصرته في الميدان الاجتماعي – الثقافي .. ولم تتحول الى حركة سياسية تناضل من اجل الاستقلال نضالا ثوريا ..

انما تكمن اهميتها في انها استبعدت الرابطة الاسلامية واعربت عن المناخ الفكري الذي شاع بين عدد من كبار المثقفين والمفكرين في مصر .. واعرب عن هذا الاتجاه الدكتور عبد الرزاق السنهوري فكتب في رسالته « التطور نحو عصبة امم شرقية » ، للفوز بالدكتوراه ، انه رغم اختلاف المدارس الفكرية والانقسامات وتعارض الاتجاهات الفقهية فان الشعوب الاسلامية وان كانت تحتفظ برابطتها الا انها نتيجة التطور العصري تتجه نحو تغليب طابعها الاجتماعي على طابعها الديني [3] .

ولم تصمد هذه الرابطة وايديولوجيتها « الاممية الشرقية ! » امام صعود الوعي القومي العربي .. والحركة القومية المصرية التي تمسكت بالقومية المصرية (وحتى بقوميتها «الفرعونية»!

في بعض المحافل) وقلصت انتماءهـــا القومي العربي في سنوات العشرين وسنوات الثلاثين الاولى ، اكتشفت عروبتها في سنوات الثلاثين اللاحقة واستنفرها كفاح الشعب العربي الفلسطينـــي . فشاركت في التضامن العربي العام مع ذلك الشعب وصدرت عنهـا احدى مبادرات حركة التضامن .

وهكذا بعد ان اوصت اللجنة الملكية البريطانية ، التي حققت في ازمة فلسطين ابان ثورة ١٩٣٦ ، بتقسيم البلاد ، عقد ٤٠٠ مندوب من مختلف الاقطار العربية ومن بينها مصر مؤتمر بلودان (بالقرب من دمشق) في ٨ ايلول ١٩٣٧ واستنكروا مشروع التقسيم واعلنوا ان فلسطين بلاد عربية ومن واجب العرب انقاذها من الخطر المحيق بها .

وفي صيف ١٩٣٨ عقد في القاهرة ، بمبادرة من لجنة برلمانيـة مصرية ، مؤتمر برلماني عربي ايد مطالب الحركة القومية العربية في فلسطين في الاستقلال ووقف التوسع الصهيوني .

وتظهر غلبة التوجه القومي العربي في هذه الفترة في ملابسات عقد المؤتمر الاسلامي في القــدس .. فبدعوة من المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين عقد المؤتمر الاسلامي للدفاع عن فلسطين في القدس في ١٣ كانون الاول عام ١٩٣١ بحضور مندوبين عن الاقطار العربية في المشرق والمغرب .. وعن بعض الدول الاسلامية المهتمة بقضية الاماكن المقدسة في البلاد ..

ولكن ما ان انتهى هذا المؤتمر بقراراته التقليدية حول تعلق المسلمين ببيت المقدس ... حتى انتهز القوميون العرب الفرصـة التي اتاحها لهم المؤتمر الاسلامي فعقدوا مؤتمرا قوميا عربيا واقروا فيه ميثاقا جاء فيه : « ان البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ ، وكل ما طرأ عليها من انواع التجزئة لا نقره ولا نعترف به » ولهذا « توجه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية الى وجهة واحدة هو استقلالها التام كاملة موحدة ، (كما توجه الى) مقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسة المحلية والاقليمية .... ولما كـان الاستعمار بجميع اشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الامة العربية وغاياتها العظمى فان الامة العربية ترفضه وتقاومه » (٤) .

وانتصرت ايديولوجية القومية العربية التي ربطت بين نضال الشعوب العربية الاستقلالي وتطلعاتها نحو الوحدة العربيـــة .. وعكست الحركة الشيوعية في بعض الاقطار العربية هذا الوضع فاصدرت الاحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان (٥) وفلسطين ، بعد اجتماع تداولي في مطلع عام ١٩٣٣ ، بيانا استعرضت فيه اوضاع الاقطار العربية والدولية وقررت « ان جوهر المسألة القومية الآنية يكمن بالضبط في ان الامبريالية الانكليزية والفرنسية والايطاليـة والاسبانية قد مزقت هذا الجسم الحي الذي يتشكل من الشعوب العربية وفي ابقاء البلدان العربية في حالـة انقسام اقطاعي وفي حرمان كل بلد على حدة من الشروط الضرورية لنموه الاقتصادي والسياسي المستقل وفي الحؤول دون تحقيق الوحدة القومية وقيام دولة موحدة للشعوب العربية » ... ودعت هـــذه الاحزاب الى النضال الثوري لتحقيق استقلال الاقطار العربيـة ووحدتهـا . (مجلة « الاممية الشيوعية » ـ المراسلات الدولية ، في ٤ كانون الثاني عام ١٩٣٣) .

وفي وسعنا ان نقرر انه في الفترة التي امتدت بين الحربيـن العالميتين لم يختف العلم الاسلامي تماما من الحياة السياسية بـل ظهر على مستويين : حكومي وشعبي ..

اما على المستوى الحكومي او الرسمي فاتخذ ثلاثة اشكال :

الاول : اعلان الشريف حسين ، امير مكـة وحاكم الحجاز ، نفسه خليفة للمسلمين في ٦ اذار ١٩٢٤ على اثر تصفية الخلافة في تركيا .. واراد بذلك ترسيخ اقدامه في شبه الجزيرة العربيـة وتوطيد مطامعه في عرش الدولة العربية في تلك المنطقة على اساس وعد بريطانيا خلال الحرب العالمية الاولى ..

الثاني : دعوة امير نجد ، عبد العزيز بن سعود ، الى مؤتمر اسلامي بعد انتصاره على الشريف حسين واستيلائه على الحجاز في تشرين الاول ١٩٢٤ وتوسيعه ملكه ليشمل اجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية ، بينها الطائف وعسير بالاضافة الى نجد والحجاز .

وعقد المؤتمر الاسلامي فعلا في ابان موسم الحج في عام ١٩٢٦ (في تموز ١٩٢٦) وتمثلت فيه هيئات رسمية اخرى قومية اهليـة وبحث « ما يعود على الاسلام والحجاز بالخير » . ولم يمس مسألة الخلافة واتخذ عددا من القرارات اهمها في هذا المجال اعلان ابن سعود خازن العتبات المقدسة الاسلامية في مكة والمدينة .

وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٢٧ بايع ممثلو مختلف المناطق ابـن سعود ملكا على الحجاز .. وفي ١٨ ايلول ١٩٣٢ اصدر ابن سعود مرسوما لتوحيد اجزاء مملكته . وصارت البلاد تدعى المملكة العربية السعودية .

وانزل هذا التطور ضربة قاصمة باولئك الذين فكروا في بعث الخلافة الاسلامية .. ونجاحه ان اعلان الشريف حسين نفسه خليفة للمسلمين افتقر الى الرصيد الشعبي والعملي بعد طرده من الحجاز.

وجدير بالذكر ان ابن سعود الذي اعتنق الوهابية ، وهي شكل من اشكال التيار السلفي (٦) في الاسلام استبعد فكرة الخلافة واعتمد في تحركه السياسي ونظامه الاجتماعي على اطاره الاقليمي بغض النظر عن تأسيسه نظامه على القواعد الفقهية الاسلامية .

الثالث : توقيع حكام تركيا والعراق وايران وافغانستان حلف سعد اباد في طهران في ٨ تموز ١٩٣٧ انطلاقا من رابطة هذه الاقطار الاسلامية .. لقد زعم المراقبون الغربيون ان دافع عقد الحلف كان قلق اولئك الحكام من المطامع الايطالية بعد احتلال ايطاليا اثيوبيا .. الا ان الواقع يشير الى ان الامبريالية البريطانيـــة اوحت بذلك الحلف تحت شعار الرابطة الاسلامية لتوطيد مواقعها في المنطقة .

وعلى الصعيد « الشعبي » ظهرت في مصر منظمة « الاخوان المسلمين » بقيادة الشيخ حسن البنا .

وحسب الكاتب محمد شوقي زكي نشأت الفكرة في آذار ١٩٢٨ وانتشرت في البلاد في سنوات الثلاثين ودعت الملك فاروق ورئيس الوزراء مصطفى النحاس وحكام الدول الاسلامية الى طريق الاسلام في رسالة بعث بها المرشد العام حسن البنا اليهم بعنوان « نحـو النور » في عام ١٩٣٦ (كتابه « الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى » ـ القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٦ ـ ١٨) .

ولكن منظمة الاخوان المسلمين لم تحتل مكانـــا مرموقا على الساحة السياسية في مصر وفي غيرها الا بعد الحرب العالمية الثانية حين جذبت محافل واسعة من البرجوازيين والعمال والفلاحين في مصر

واقامت فروعا لها في الاقطار العربية وبعض الاقطار الاسلامية وبدات تدرب رجالها على السلاح .

والمهم هنا ان ظهور هذه المنظمة تحدت بايديولوجيتها الاسلامية الايديولوجية القومية .. واعرب عن ذلك حسن البنا في « الرسائل الثلاث ـ دعوتنا » فكتب ان الاخوان « يعتبرون حدود الوطنيه بالعقيده ، لا بالتخوم الارضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم .. وطن له حرمته وقداسته .. وكل المسلمين في هذه الاقطار الجغرافية اهلنا واخوتنا نهتم بهم ونشعر بشعورهم .. ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك ، فلا يعنيهم الا امر تلك الرقعة المحدوده والضيقة من رقعة الارض » (المصدر ذاته ، ص ٥٩) .

ومع هذا لم يستبعد « الاخوان » من دعوتهم الوطنية والعروبة فكتب مرشدهم في « دعوتنا في طور جديد » : « اننا نعتز باننا مخلصون لهذا الوطن عاملون له ، محبون له ، مجاهدون في سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ... اننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام » (المصدر ذاته ، ص ٥٩) .

وصاغ « الاخوان » فلسفة اجتماعية ـ اقتصادية انطلاقا من ايمانهم بان احكام الاسلام وتعاليمه شاملة ، تدعو الى تمصير الشركات الاجنبية واحلال رؤوس الاموال الوطنية مكانها .. والى التصنيع .. والى تحديد الملكية الكبيرة وتشجيع الملكيات الصغيرة « حتى يشعر الفقراء المعدمون بانه اصبح لهم في هذا الوطن ، ما يعنيهم امره ويهمهم شانه » .. كما انهم حاولوا جذب الفئات الشعبية بشعارات اجتماعية فيها كثير من الديماغوغية . (المصدر ذاته ـ ص ٤٨) (٧) ..

وفي هذه الفترة نفسها ساهم رجال الدين في الصراعات السياسية ـ الاجتماعية في مختلف الاقطار العربية والاسلامية وانقسم رجال الدين المسلمون قسمين : قسم شارك الحركة الوطنية تطلعاتها الوطنية وخاض معاركها .. وقسم ايد الرجعية المحلية المتعاونة مع الامبريالية السائدة في قطره ..

وفي الجزائر حيث تميزت الممارسة الكولونيالية الفرنسية بالقمع العنيف والارهاب الشديد تحولت المساجد والكتاتيب الى مراكز لنشر الوعي القومي والكفاح التحرري بشعارات لونها الاسلام.

وفي هذه الظروف نشأت جمعية العلماء الجزائريين فاقامت النوادي الثقافية ونشرت الروح الوطنية وعلمت الطلاب العربية .. واصبح شعار مؤيديها « الجزائر بلادي ، والاسلام ديني والعربية لغتي » ..

كذلك دعت الجمعية في برنامجها الى العودة الى مبادىء الاسلام حسب مفاهيم السلف الصالح ..

الا ان نمو الحركة القومية العلمانية غطى على هذه الجمعية وخلق قيادة وطنية واعية لم يعد معها من ضرورة لنشاط العلماء المميز . ومع هذا فلا بد من تثمين دور هذه الحركة تثمينا عاليا لانها حافظت على شعلة الكفاح ولم تسمح للامبرياليين الفرنسيين باطفائها .

وموازيا لهذه الظاهرة برز الانقسام بين رجال الدين المسلمين في الجزائر .. فمشايخ الطرق نشطوا في الميدان الاجتماعي وساندوا الرجعية والامبريالية مما دعا جمعية العلماء الى التنديد بهم ومحاربتهم ..

وقد اكدت الجمعية في برنامجها فذكرت ان « الاوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لاتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ واولاد الشيخ الى ما هنالك من استغلال واذلال واعانة لاهل الاذلال والاستغلال (اي الامبرياليين والرجعيين ـ ا. ت.) ومن تجميد للعقول واماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور » .

وفي هذا الصدد كتب الكاتب المصري محمد عوده في معرض معالجته سياسة الامبريالية الفرنسية في ممتلكاتها الافريقية : « لم سمح (الاستعمار الفرنسي) بزوايا .. وتكايا اسلامية يقيمها مشعوذون ودجالون باسم الاسلام لتضليل وتسخير الجماهير الساذجة . وطبق هذه السياسة باشكال ودرجات متفاوتة ومتباينة في كل مستعمرات الامبراطورية الفرنسية الافريقية » (٨) بهدف محاربة حركة التحرر القومي الصاعدة .

في ظروف تكثيف حركة التحرر القومي والاجتماعي

دشن الانتصار على النازية الالمانية والفاشية والعسكرية اليابانية في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، مرحلة اعلى في عملية التحرر القومي والاجتماعي وذلك بفضل دور الاتحاد السوفييتي الحاسم في تحقيق الانتصار والتغيير النوعي في توازن القوى الدولية في غير مصلحة الامبريالية والرجعية .

وفي هذه المرحلة التي تمتد بين نهاية الحرب حتى يومنا هذا تميز الوضع الدولي بالمعالم الجوهرية التالية :

اولا ـ تحول النظام الاشتراكي من نظام في قطر واحد ـ الاتحاد السوفييتي ، الى نظام عالمي تنتسب اليه مجموعة من الدول الاشتراكية في اوروبا واسيا وامريكا اللاتينية ..

ثانيا ـ نمت في عدد من الاقطار في مختلف القارات الثورة الوطنية الدمقراطية ، ثورة التحرر القومي الى ثورة اشتراكية وبين هذه الاقطار كوريا الدمقراطية وفيتنام ، وكوبا (٩) .

ثالثا ـ تقوض النظام الكولونيالي الامبريالي بحيث استقلت المستعمرات واشباه المستعمرات سياسيا وبعضها تنمو ثورته الوطنية الدمقراطية الى تحولات اجتماعية عميقة وتنتهج سياسة تطور لاراسمالي بوجهة اشتراكية مثل سوريا والجزائر وموزمبيق وانجولا واثيوبيا .. واليمن الدمقراطي .. وهذه الاخيرة قطعت شوطا هاما جدا في الفترة الاخيرة ..

رابعا ـ تعاني الراسمالية ازمة سياسية واقتصادية مزمنة ، ودولها الكبرى التي تمارس سياسة امبريالية ، كولونيالية جديدة مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا عاجزة عن تخفيف تناقضاتها وصراعاتها المحتدمة ..

خامسا ـ بفضل كفاح الشعوب القومي والاجتماعي وتغير توازن القوى الدولية في مصلحة قوى الاشتراكية والتحرر والسلام تسارع عملية الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ، هذه العملية التاريخية التي فجرتها ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى .

سادسا ـ وفي ظروف هذا الصراع المصيري بين الراسمالية والاشتراكية تزداد اهمية الصراع الايديولوجي وتلجا الامبريالية

والرجعية الى مختلف الوسائل ، واحطها في اكثر الاحيان ، من اجل تشويه صورة الاشتراكية القائمة في الاتحاد السوفييتي وسائر الاقطار الاشتراكية ، ومن اجل تزييف الايديولوجية الاشتراكية العلمية ، الماركسية ـ اللينينية ، ايديولوجية الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية لابعاد الجماهير عن الكفاح من اجل الاشتراكية .

ومن بين هذه الوسائل وسيلة الدين .. وقد برهنت الوقائع ان الدين ليس طرفا في المعركة بين الراسمالية والاشتراكية بل المنظمات الدينية او رجال الدين ، ولذلك شهدنا ان في حالات عديدة يقف رجال الدين في هذا القطر او ذاك على جانبي المتراس في ساحة الصراع السياسي الاجتماعي .. وفي عدد من اقطار امريكا اللاتينية سقط عدد من رجال الدين الكاثوليك شهداء الكفاح التحرري .. وسقطوا برصاص اشد قوى اليمين رجعية .

وفي وسعنا في سبيل معالجة موضوع « الاسلام » والعملية الثورية ان نتوقف عند التطورات في ثلاث مناطق تعتبر اجزاء مما يطلق عليه « العالم الاسلامي » ! : باكستان ، العالم العربي وايران .

باكستان

نجحت الامبريالية البريطانية ، خلال سيطرتها على الهند طول اكثر من قرن ونصف قرن ، في ممارستها سياسة « فرق تسد » وفي اطار ذلك شجعت على الاحتراب القومي والطائفي في سبيل ترسيخ مواقعها في ما كان يسمى « درة تاج الامبراطورية البريطانية » ..

ومع اشتداد كفاح التحرر القومي في الهند ، نشات في ظروف هذه الممارسة ، حركة بشعارات اسلامية ، بقيادة كبار الاقطاعيين والعقاريين المسلمين ..

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية والنهوض الوطني الثوري في الهند ، لم يعد في وسع الامبريالية البريطانية ان تبقى في الهند .. ولذلك ناورت في مفاوضاتها قادة الحركة القومية الهندية بحيث مكنت الحركة الاسلامية من طرح شعار اقامة دولة اسلامية (هندية) مستقلة عن الهند .. وعلى الرغم من ان الحركة القومية الهندية ، ممثلة في المؤتمر الهندي ، كانت توحد ابناء مختلف القوميات والطوائف ويمثل رجالات مسلمون مواقع قيادية فيها ، الا ان ذلك لم يمنع الامبريالية والرجعية من تقسيم الهند ، الى هند ودولة هندية « اسلامية » تسمت باكستان ووحدت اقليمين : احدهما في الغرب والاخر بالشرق ويفصل بينهما الفا كيلومتر من الاراضي الهندية .

والحقيقة ان التقسيم لم يكن طائفيا فقط بل كان قوميا .. فالقسم الغربي من باكستان كان جزءا من ولاية البنجاب في الاساس في حين كان القسم الشرقي جزءا من ولاية البنغال .

واوضحت التطورات التي رافقت مسيرة باكستان ، منذ ان قامت في عام ١٩٤٧ ، ان حكام باكستان ، على الرغم من شعاراتهم الدينية الاسلامية ، طبقوا قوانين المجتمعات الطبقية ـ فوطدوا مواقع كبار اسياد الارض والعقاريين وحكموا على الفلاحين ـ وهم اكثرية السكان ـ والعمال وسائر الفئات الشعبية بالفاقة والحرمان .. واجراءاتهم « الاصلاحية » (مثل الاصلاح الزراعي) لم تغير في بنية المجتمع الطبقية ، وفي اغلب الحالات بقيت حبرا على ورق .

وبرهنت التطورات كذلك على ان حكام باكستان اقاموا مركز الحكم في باكستان الغربية ـ حيث تعيش الاكثرية البنجابية ـ وعاملوا باكستان الشرقية ـ حيث تعيش الاكثرية البنغالية ـ معاملة قاسية تقوم على الاستغلال والقمع .. ولا شك ان ذلك صدر عن توجه طبقي قومي اعتنقه حكام باكستان الغربيون .

وسرعان ما اشتد الصراع القومي النامي في تربة الصراع الاجتماعي بين شطري باكستان .. وما ان حل عام ١٩٧١ حتى انفجر هذا الصراع وتحول الى كفاح مسلح ادى في ظروف الحرب الهندية ـ الباكستانية الى انسلاخ باكستان الشرقية عن باكستان الغربية ونشوء دولة بنغلادش تعبيرا عن حق الشعب البنغالي في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ..

وهكذا برهنت الاحداث ان وحدة الانتماء الديني بين مسلمي شطري باكستان لم يكف للابقاء على وحدة دولية .. واكثر من هذا برهنت على قوة الحركات القومية وقدرتها في اوضاع ملائمة على الحسم ..

واليوم نشاهد صراعا سياسيا ـ اجتماعيا في باكستان لم يخفف من حدته سيطرة قيادة الجيش على البلاد بعد الانقلاب العسكري الذي وقع قبل ثلاث سنوات فاطاح بالحكومة الشرعية انذاك ونصب قائد الجيش محمد ضياء الحق رئيسا للجمهورية ..

لقد حاول ضياء الحق في سبيل تثبيت نظامه في وجه المعارضة النامية اللجوء الى الاسلام فاعلن الشريعة الاسلامية نهجا دستوريا ينظم حكمه .. ولكنه واجه هبة شعبية عاصفة في الاسبوع الاول من تموز ١٩٨٠ حين اصدر مرسوما فرض به الزكاة احدى اركان الاسلام الخمسة .. فالالوف تظاهرت واصطدمت بالشرطة احتجاجا على هذا القانون لانها رات فيه تجاوزا على تفسيرها ماهية الزكاة .. (١٠) واقترن بهذه الهبة اضراب عام اعلنه المحامون احتجاجا على فرض الاحكام العسكرية على البلاد ..

العالم العربي

وفي هذه الفترة مرت اقطار العالم العربي على مراحل تباينت في مميزاتها الخاصة نتيجة تطورها غير المتعادل ..

ومع ان جميع الاقطار العربية تمر في مرحلة تاريخية واحدة ، هي مرحلة الثورة الوطنية الدمقراطية ، الا ان كلا منها وصلت الى درجة ملموسة من درجات هذه الثورة .

وفي الوقت نفسه في وسعنا ان نقرر على سبيل التعميم الامور التالية :

* ان موجة التحرر القومي العربية التي عصفت بالعالم العربي في اعقاب الحرب العالمية الثانية اتسمت بالزخم الثوري وحققت انجازات تاريخية .. فثورة الضباط الاحرار في مصر في ٢٣ تموز ١٩٥٢ قضت على الملكية واقامت الجمهورية وحررت البلاد من قبضة الامبريالية البريطانية .. وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق قضت بدورها على الملكية الهاشمية واطلقت البلاد من اسر حلف بغداد الامبريالي .. وثورة الجزائر التي اندلعت في ١٩٥٤ انزلت ضربة قاضية بالامبريالية الفرنسية وحررت البلاد فاستقلت في عام ١٩٦٢ .. كما انتصرت الثورة المسلحة في جنوب اليمن في عام ١٩٦٧ واقامت

جمهورية اليمن الدمقراطية الشعبية ..

والواقع ، تحررت جميع الاقطار والامارات العربية من السيطرة الامبريالية العسكرية والسياسية واستقلت سياسيا وان كان بعضها لم يتخلص من قبضة الكولونيالية الجديدة .

* سادت في حركات التحرر الاقليمية ايديولوجية القومية العربية .. وفكرة الوحدة العربية التي تجسمت في الجامعة العربية التي تاسست في عام ١٩٤٥ . وصمدت على الرغم من ازماتها والصراعات التي احتدمت في اطارها ، كما تجسمت في محاولات اقامة وحدات عربية مثل الجمهورية العربية المتحدة التي وحدت مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ والاتحاد الفيدرالي بين مصر وسوريا والعراق في عام ١٩٦٣ والاتحاد الفيدرالي بين مصر وسوريا وليبيا والسودان في عام ١٩٧٠ . وفشل هذه المحاولات لا يغير من تطلع الشعوب العربية نحو الوحدة انما يعود لاوضاع تلك الاقطار السياسية ـ الاجتماعية .. ورسوخ الاقليمية والتناقضات بين مجموعات البرجوازية الاقليمية .

* اغتنت حركة التحرر القومي العربية بمختلف فصائلها بالمضمون الاجتماعي بحيث لم يعد من الممكن فصل تحقيق او توطيد التحرر السياسي عن تحقيق وتوطيد التحرر الاجتماعي . وطرحت الاحداث امام عدد من الاقطار العربية مسالة اختيار النهج السياسي ـ الاجتماعي بعد الاستقلال واختارت مصر وسوريا والجزائر والعراق واليمن الدمقراطي طريق التطور غير الراسمالي في سنوات الستين . وبداهة ان ذلك استنفر صراعا طبقيا حادا في تلك الاقطار .

* وفي ظروف التفاعل بين الاقطار العربية المجتمعة في الجامعة العربية والتاثيرات المتبادلة الناجمة عن حركة التضامن العربي المنتشرة في العالم العربي اشتد الصراع الطبقي ـ الاجتماعي قطريا وعلى الصعيد العربي العام ..

وتوزعت الاقطار العربية على جبهتين ، جبهة معادية للامبريالية وتنتهج سياسة اصلاحات اجتماعية عميقة (توزيع الاراضي على الفلاحين واقامة قطاع صناعي ـ زراعي ـ تجاري عام ...) ، وجبهة موالية للامبريالية تبذل انظمتها ما في وسعها للاحتفاظ ببنية اقطارها الطبقية حيث يسود اسياد الارض والبرجوازيون ويستغل الفلاحون والعمال ابشع استغلال .

وقادت مكافحة الامبريالية الانظمة الوطنية العربية الى تعميق صداقتها وتعاونها مع الاتحاد السوفييتي وسائر المجموعة الاشتراكية والقوى الثورية في العالم .

واعرب عبد الناصر ، رئيس جمهورية مصر الراحل ، عن هذا الانتساب الى جبهة الثورة فقال : « ان النضال الشعبي المصري ونضال الامة العربية الشعبي يجري في اطار الثورة العالمية كلها لحركة التحرر الوطني ، هذه الثورة التي تتعرض اليوم لغارات استعمارية رجعية ضارية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية » (في استقبال رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي الكسي كوسيغن في ١٠ ايار ١٩٦٩) .

* ونتيجة لهذه التطورات شددت الامبريالية من هجومها على الدول العربية المعادية للامبريالية واستفادت من مطامع حكام اسرائيل التوسعية لتدفعهم الى القيام بدور فرقة الصدام لضرب حركة التحرر القومي .. وفي هذا الصدد قال عبد الناصر : « ولقد زاد من حدة التناقض بين الامة العربية والاستعمار ظهور الحركة التقدمية العربية بقيادة الفلاحين والعمال العرب الامر الذي دفع الاستعمار الى مغامرات عنيفة ومخيفة عبرت عن نفسها سنة ١٩٥٦ بالعدوان المشهور على مصر والذي عرف فيما بعد بحرب السويس ، وفيما بعد عبرت عن نفسها مرة ثانية في عام ١٩٦٧ التي عرفت فيما بعد بحرب الايام الستة التي هي في الحقيقة مقدمة لم تنته حتى الان » (في افتتاح مؤتمر العمال العرب ، ٢٩ـ١ـ١٩٦٩) .

وعند هذا الحد نعود الى «الاخوان المسلمين» ، و «الاسلام» ـ او الى الموقع الذي ارادت مختلف القوى ان تضع الاسلام فيه في الصراعات السياسية ـ الاجتماعية الدائرة في العالم العربي .

*

تحولت منظمة « الاخوان المسلمين » في مصر الى حركة شعبية في اثناء الحرب العالمية الثانية .. واصبحت تحتل موقعا مؤثرا على الخريطة السياسية في اعقاب تلك الحرب ..

وموازيا لنمو هذه المنظمة ، بايديولوجيتها القومية وتخفيفها العامل الديني ، اتسعت قاعدة الحركة التقدمية الجماهيرية وتبوأ الشيوعيون المصريون موقع القيادة فيها . (١١)

والصحيح ، في تلك الفترة العاصفة من النهوض الوطني الثوري ، ان بعض المحافل الامبريالية والرجعية ايدت « الاخوان » وساندت حركتهم على اعتبار انها قادرة على وقف المد التقدمي .. وفي الوقت نفسه تورط قادتهم بالصراع المزدوج بين الدولتين الامبرياليتين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية من ناحية .. وبين المحافل الملكية الرجعية والقيادة القومية التقليدية من ناحية ثانية .. وهكذا مثلا اتهمهم رئيس وزراء مصر الملكي فهمي النقراشي بمحاولة اجراء انقلاب في كانون الاول ١٩٤٨ واغلق مكاتبهم وصادر صحفهم .. ثم جاء الى الحكم حزب الوفد بزعامة مصطفى النحاس فخفف الضغط عنهم وافرج عن ممتلكاتهم ومنحهم قسطا وافرا من حرية العمل في عام ١٩٥٠ .

ونتيجة هذا الصراع المزدوج اغتال جماعة من «الاخوان» فهمي النقراشي في ٢٨ كانون الاول ١٩٤٨ ... وبالمقابل اغتال بعض مؤيدي حزب النقراشي مرشد « الاخوان » حسن البنا في ١٢ شباط ١٩٤٩ . (١٢)

وبغض النظر عن اتجاهات قادة « الاخوان » الرجعية .. الا ان جمهرة الاعضاء اندفعت في طريق النضال الوطني الثوري وشارك بعضهم في الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني في منطقة القناة في ١٩٥١ .

وايد « الاخوان » قادة واعضاء ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ التي قضت على الملكية واقامت الجمهورية المصرية .. وفي الفترة الاولى نشأت علاقات ودية بين قيادة الثورة وقادة «الاخوان» ، الا ان اطماع قادة « الاخوان » السياسية وتوجههم الرجعي اديا الى اصطدام الطرفين وبخاصة بعد ان حاول نفر منهم اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر باطلاق العيارات النارية عليه وهو يخطب في الاسكندرية في ٢٦

تشرين الاول من عام ١٩٥٤ .

ولخص د. حسين حنفي ، استاذ الفلسفة في كلية الآداب في جامعة القاهرة ، ملابسات هذا الصراع ، فكتب :

« ... رفض الاخوان الاشتراك في الوزارة الا بشروط ثلاثة : الاول الا يصدر قانون الا اذا اقره الاخوان .. والثاني الا يصدر قرار الا اذا اقره الاخوان .. والثالث ان يفرض ناصر الحجاب وان يغلق المسارح والسينما وان يتحول ... الى حاكم بامر الله » .

واضاف د. حنفي ان ناصر رفض هذه الشروط لان الثورة ترفض الوصاية عليها .. وبرى ان دعوة الاخوان له لان يكون حاكما بامر الله ! ظاهرها تطبيق الاسلام وفي حقيقتها فرض الوصايا على الثورة (١٣) .

والواقع ان هذا الاصطدام ادى الى انحسار شعبية «الاخوان» وانفضاض الجماهير التي التفت حول منظمتهم .. ومع مرور الايام وانتهاج النظام الناصري طريق مكافحة الامبريالية وتطبيق برنامج التحولات الاجتماعية العميقة فقدت منظمة « الاخوان » جاذبيتها الاجتماعية وبخاصة انها عارضت بعض التحولات (١٤) مما كشف عن ضحالة شعاراتها الاجتماعية الديماغوغية .

كذلك ادّت موجة النهوض القومي العربي في سنوات الخمسين وسيادة الايديولوجية القومية العربية التي تجسدت بصورة ملموسة في وحدة مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة في شباط ١٩٥٨ الى هزيمة ايديولوجية « الاخوان » القائمة على اعتبار « العقيدة حدود الوطنية لا التخوم الارضية » ! !

وتحولت منظمة « الاخوان » بعد هذه التطورات الى منظمة ارهابية تعارض النهج الناصري داخليا وعالميا .. وفي اب عام ١٩٦٥ كشفت اجهزة الامن المصرية عن مؤامرة يعدها « الاخوان » لقلب نظام الحكم بالاتصال بجهات اجنبية زودتهم بالاسلحة لذلك (١٥) .

وقد عرى تقرير اللجنة التشريعية في مجلس الشعب المصري « الاخوان المسلمين » واظهر دورهم في مقاومة نهج الثورة السياسي والاجتماعي مستشهدا بو اقهم مؤكدا على مقاومتهم القومية العربية وقولهم في هذا الصدد « ليس الطريق ان يتحرر الناس في هذه الارض من طاغوت روماني او فارسي الى طاغوت عربي » (١٦) .

واقترن تآمر « الاخوان » في مصر على نظام الحكم المعادي للامبريالية بهجوم تولت المملكة السعودية قيادته على النهج التقدمي في العالم العربي تحت شعار « الحلف الاسلامي » الذي هدف الى ضرب التضامن العربي الثوري .

وفي النصف الاول من عام ١٩٦٦ قام الملك فيصل السعودي بجولة في عدد من الاقطار العربية والاسلامية داعيا الى هذا الحلف مؤكدا ، كما صرح بذلك في اجتماع صحفي في عمان عقده في ٣١ كانون الاول ١٩٦٦ في اعقاب مباحثاته مع الملك الاردني حسين ، : « ان الروابط التي تربط العالم الاسلامي اقوى بكثير من اي حلف او اية ارتباطات او معاهدات فهي روابط اخوة اسمى بكثير واقوى من اية احلاف اخرى » (١٧) .

واوضح الملك فيصل ابان زيارته في واشنطن في حزيران ١٩٦٦ بطريقة غير مباشرة اهداف هذا الحلف حين ركز هجومه على الشيوعية فاعلن « ان ديننا يفرض علينا » ! مقاومتها لانها « لم تدخل اي قطر او بلد الا خربته » !!! (١٨) .

وجدير بالذكر هنا ان اجراءات عبد الناصر لتحقيق التحولات الاجتماعية الجذرية تعرضت لهجوم الرجعية العربية التي وصفتها بالشيوعية والاشتراكية .. وزعمت انها « تعارض » مع الدين الاسلامي ! .

ولم تخف المملكة السعودية تساوقها مع « الاخوان » في مصر .. بل دفعت ما اسمته « المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي » ! الى اتخاذ قرار يعرب عن « اسى » الرابطة لما يصيب الاخوان من تعذيب وحرمان خلافا لما تحث عليه الشريعة الاسلامية !! كما تستنكر الاضطهاد اللاحق بالمعتقلين (او على الاصح المجرمين الذين ادانتهم المحاكم) وتزعم ان هؤلاء المتامرين يتعرضون للتنكيل لانهم « حاولوا جهدهم ان يقوّموا الاخطار التي يعاني منها الشعب المسلم » ! (١٩).

وتصدت القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي لهذه الدعوة المشبوهة على الصعيدين السياسي والاجتماعي .. فشجبت النداء لعقد حلف اسلامي .. وفندت مزاعم اولئك الذين رأوا في الاصلاحات الاجتماعية او الاشتراكية تناقضا مع الدين الاسلامي وشرائعه ..

وعلى امتداد عام ١٩٦٦ اصدرت الاحزاب الشيوعية في الاقطار العربية ، والمؤتمرات العربية التي عقدت مثل مؤتمر المعلمين العرب واجتماع المجلس المركزي للاتحاد الدولي للعمال العرب ، ولقاءات الانظمة العربية الوطنية (مثل لقاء ممثلي حكومتي سوريا ومصر) .. اصدرت قرارات تشجب الحلف الاسلامي وترى فيه مؤامرة امبريالية ومحاولة لضرب حركة التحرر القومي العربية وخنقها وصد المد الاجتماعي التحرري (٢٠) .

واهتم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بفضح هذا الحلف والكشف عن ابعاده الحقيقية فقال في مقابلة صحفية مع مراسل جريدة « بليتز » الهندية ان الحلف الاسلامي هو نفس استراتيجية الامبريالية القديمة . واضاف : « كانوا يضمون الخطط في الماضي لمحاربة الثورة ولتمكين الاستعمار الجديد تحت ستار الخوف من الغول الشيوعي ، لكنهم اليوم اعطوا هذه الاستراتيجية طلاء دينيا زائفا ... حاولوا اول الامر ان يفرضوا على هذه المنطقة منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، وعندما فشل حلف بغداد في تحقيق النتائج التي ارادوها بداوا يفكرون فيما يسمى بالحلف الاسلامي ليوقفوا زحف الاشتراكية والدمقراطية في المنطقة بتفسيرات مضللة للتعاليم الاسلامية العظيمة التي تدعو في جوهرها الى الاشتراكية والدمقراطية » .

واضاف: ان الامبرياليين ، حسب ما ورد في مذكرات ايزنهاور، فكروا في ان يكون الملك سعود اداتهم فقط .. « واكتشفوا اليوم في الملك فيصل نبيا جديدا لهجومهم الاستعماري – والحقيقة التي تكشف الوجه الحقيقي لدعوته انه لم يجد تاييدا لهذا التحريف في تفسير الاسلام لتحويله الى سلاح سياسي رجعي الا عند بورقيبة وشاه ايران » ..

واكد عبد الناصر ان « الشعوب العربية واعية وتجاربها عميقة

وخصبة ، والنبي محمد لم يكن ملكا » . واضاف ، مخاطبا المراسل: « اذكر ماذا كان يملك النبي وماذا يملك الان الملك فيعقل تجد الجواب على ادعائه انه بطل الاسلام .. ان الاسلام يدعو الى تقسيم الرغيف مع اخوتك وهذا يعني في العصر الحديث الاشتراكية » (٢١) .

وفي مؤتمر صحفي عقده عبد الناصر مع الصحفيين العراقيين قال ردا على سؤال حول الاشتراكية والماركسية والاسلام :

« ان الحملة الموجهة ضد الاشتراكية في البلاد العربية موجهة من تحالف رأس المال والاقطاع وايضا الاستعمار ... » واضاف : ان دعاة هذه الحملة « اتخذوا الدين ذريعة ليقولوا ان الاشتراكية ضد الدين » . ثم تساءل : « فكيف تكون الاشتراكية ضد الدين اذا كانت الاشتراكية هي المساواة بين الناس والدين نادى بالمساواة. واذا كانت الاشتراكية تكافؤ الفرص فالدين نادى بتكافؤ الفرص .. واذا كانت الاشتراكية هي رفع مستوى المعيشة ، فالدين نادى برفع مستوى المعيشة » (٢٢) .

وهكذا يظهر من جديد ان هناك موقفين متناقضين ازاء مضمون الاسلام .. وان موقع المسلمين الطبقي هو الذي يقرر انتماءهم الى احد هذين الموقفين .. فالملكيون والاقطاعيون والبرجوازيون الكبار والرجعيون عامة يرون في الاسلام اداة لسد الطريق امام الكفاح الثوري من اجل التحرر القومي والاجتماعي ويحاولون استخدامه لمحاربة الشيوعية والاشتراكية واجراءات الاصلاحات الاجتماعية العميقة .. والوطنيون والتقدميون لا يرون تناقضا بين الاشتراكية والاسلام .. بل يرون في الاسلام سندا عقائديا لانهاء انظمة الاستغلال الطبقي الوحشي من النوع الذي لا يزال قائما في المملكة السعودية حيث تغرق العائلة المالكة في الذهب ويجوع الشعب .. ومن الذي كان قائما في ايران الشاه .

ايــران

وهذا الانقسام الطبقي الذي يتخذ الاسلام اليوم محورا من محاوره يظهر بوضوح تام في احداث ايران ..

لم تبدأ الحركة الثورية في ايران بآية اللــه الخميني .. وبالحركة التي اقترنت باسمه واصبحت تعرف بالخمينية .. فالكفاح الثوري للاطاحة بنظام الشاهنشاهية في ايران ، وتخليص البلاد من قبضة الامبريالية والكولونيالية الجديدة ، واتمام الثورة الوطنية الدمقراطية بتحقيق التحولات الاجتماعية العميقة .. هذا الكفاح قديم جدا وبرز واضحا في مطلع هذا القرن ..

واخر انتفاضة ثورية ـ سياسية واجتماعية انفجرت في مطلع سنوات الخمسين حين وقف في قيادتها محمد مصدق ، زعيم الجبهة الدمقراطية ..

وقد نجحت الرجعية الشاهنشاهية بمساندة الامبريالية الامريكية في اجهاض هذه الانتفاضة فاطاحت بحكومة مصدق والغت اصلاحاته التقدمية واعادت الشاه الفار محمد رضا بهلوي الى عرشه في آب عام ١٩٥٢ .

والسؤال لماذا تسلمت القيادة الاسلامية الدينية قيادة الثورة في ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ .. وانتصرت في اضفاء الشعارات الاسلامية عليها ؟ .

فسر هذه الظاهرة سكرتير حزب الشعب الايراني العام ، الحزب الشيوعي ـ « توده » نور الدين كيانوري ، فذكر ان الشيعة لها علاقات تقليدية بالحركة الشعبية الثورية .. ومذهبها الاجتماعي يتسم تاريخيا بخصائص تميل الآن ، موضوعيا ، الى ارتداء معنى ايجابيا ، وقرر انه خلال الخمس والعشرين السنة الماضية ، وفي الوقت الذي كان فيه نظام الحكم المستبد يطارد التجمعات الثورية السرية ، وكانت زنزانات السجون تغص بخصوم الشاه الذين كانوا يموتون تحت تعذيب «السافاك» (جهاز المباحثات الجنائية السفاح) تحولت الجوامع الى الملجأ الوحيد الذي لم يكن الشاه يجرؤ على مهاجمته بشكل سافر . وكانت التجمعات الاسلامية الوطنية قادرة على ادامة اتصالها بالشعب ونشر المطالب المعادية للديكتاتورية فكانت تلاقي تجاوبا واسعا لدى ابناء الشعب (٢٣) .

وهذا طبيعي في بلاد الشرق حيث كانت ، كما يلاحظ ب. ا. اوليانوفسكي ، المفكر السوفييتي ، المعتقدات الدينية « اساس وعي الجماهير الفلاحية ، وكانت في فترات معينة حادة تغذي النضال ضد الاقطاعية وضد الاستعباد الاجنبي ومن اجل التحرر الوطني» . واضاف : « ولا يمكن الان حذف استخدام المعتقدات التقليدية في تسويغ النضال من اجل محو الاستغلال للانسان . ومن المفهوم ان ذلك يفترض تفسيرا تقدميا لاسس المعتقدات التقليدية (الدينية) ونضالا مستمرا حاسما ضد سعي الرجعية الى استخدام مشاعر الجماهير الدينية لمصالحها الطبقية » (٢٤) .

واهمية هذه الملاحظة انها سبقت الثورة الايرانية التي رفعت الشعارات الاسلامية ولخصت خبرة كفاح الشعوب المستعمرة عبر السنين .. وقد رأينا كيف ان الحركة الوطنية ، في ظروف التعسف الامبريالي الارهابي في الجزائر ، نشأت في باحات الجوامع والكتاتيب ، ووقفت في مقدمتها جمعية العلماء المسلمين .

الواقع ان الثورة الايرانية لم تنف المقولات الماركسية ـ اللينينية ، كما زعم بعض الكتاب في الاقطار العربية الغربية ، بل اكدتها بتأكيدها محرك الصراع الطبقي في التطورات التي مرت على ايران ولا تزال تعتمل فيها .

فخلال مرحلة النهوض الثوري الكبير تبددت او تلاشت مؤقتا الخلافات المذهبية بين السنة والشيعة .. والخلافات القومية والسياسية ، كما ابتعدت عن الصدارة التمايزات الاجتماعية .. وهذا مهد لقيام الجبهة الشعبية ، التي وحدت الاحزاب المعادية للامبريالية والنظام الشاهنشاهي ، وخلق ظروف تعاون « توده » مع سائر فصائل الثورة .. وانطلاقا من هذا التقويم في وسعنا ان نقرر ان الوحدة الوطنية الشعبية كانت العامل المقرر في انتصار الثورة واطاحتها بالنظام الاقطاعي ـ البرجوازي المتعاون مع الامبريالية عامة والامريكية بخاصة .

ولذلك كان من البدهي ان تعود التناقضات السياسية والاجتماعية الى السطح بعد الانتصار ، ويشتد التمايز ـ حتى الصراع ـ بين مختلف القوى الوطنية حول ماهية المجتمع الجديد وحول القضية القومية وحول النهج الاجتماعي الداخلي والسياسة الخارجية .

وعلى هذا الضوء من الممكن ان نرى انعكاسا لهذا الصراع في

(البقية على ص ٤٥)

وما نسينا

[الحلقـة الرابعـة]

صدقنا وما صدقنا .. لحتى شفنا فى عينينا . قلنا منعرفهم من يكنعـام

« كانا كنا نستعد للرحيل » .. قال الشيخ الذي نتحدث عنه . ام الزينات كانت كـل عمرها مهـددة بالتشريد . من أيام تركيا . من أيام الانجليز . وحتى تلك الايام السوداء ، مع اول النهار ، اذ وصلت فرقة مجهزة بكامل عتادها ، وحاصرت البلد على ثلاث جهات . تركوا الجهة الشمالية للهجيج . « وبلشـوا سلـخ رصاص .. على اللى رايح وعلى اللى جاى ؛ عن جنب وطرف كنت تشوف رصاصهم يزخ علينا مثل المطر » . بعد يومين دخلوا القرية ، واقاموا مقرا للقيادة عـلى البيادر ، ودارت مجموعة فى شوارع القرية تنادى :

ــ يا عالم ! يا ناس ! كل واحد يسلم ويطلع عـلى البيادر .

لم يستطع الشيخ الذى نتحدث عنه ان يواصـل حديثه دون ان يتوقف هنيهة ، كانه يحاول ان يتذكر كل كبيرة وصغيرة ، كأن الشريط الذى يلف ويدور فى ذاكرته يحتاج الى « مونتاج » لتنظيم المقاطع والمشاهـد كى يصعد الحدث الدرامى الى حالة التوتر ، كانه فنان يريد ان يكون صادقا ، ان يعيش ولو للمرة الالف الحـدث الذى يصوره ، ولم تنفك الاسارير التى تقورت فى وجهه الا بعد ان اطلق شتيمة كان طرفها الاول عند ابن سعود والثانى على السرير الزوجى فى قلب البيت الابيض حتى تعتقد ان اذن كارتر اخذت تصن كما لو ركب فيها جهاز انذار من الطراز الذى يركب فى المحطات التى اقاموها على رمال سيناء .

وفى تلك الايام .. الساعات المعدودة التى تقابلت فيها البواريد الطليانية المبردة بالمترليوز الانجليزى .. كانت اخبار دير ياسين والطنطورة قد وصلـت الى ام الزينات .

بقلم : سلمان ناطور

ــ كنا نسمع عن اليهود انهم بيقتلوا الاطفال وبيبعجوا المراة الحبلى بالسكين .. ما بقى فى راسنا عقل لما شفنا اول واحد منهم حامل بارودته وبيقطع شوارع بلدنا .. ما بقى فى راسنا عقل ، صدقنا وما صدقنا ... كنـا نقول منعرفهم من حيفا ، من يكنعام ، يوم يوم عايشين معهم ، ما صدقناش ، لحتى شفنا فى عينينا .. شفنا فى عينينا ..

كان الضابط لطيفا لدرجة انه ترك له حـق الخيار . اما أن يموت واما خربة أم الدرج

كان مختار البلد ، يوسف العيسى ، جالسا فى بيته . دخل عليه جندى وطلب منه ان يمثل امام القائد ليسلم القرية . وفعلا اخرجه من بيتـه وهو يحمـل « الشرشوح ، ملحفة بيضة على عراط طويل » ويقطع الطريق الى البيادر ، ليقابل حضرة الضابط يهودا مـن يكنعام التى تبعد عن القرية اربعة كيلومترات . ولـم يشفع له انه يعرفه من قبل وان حق الجيرة على الاقل يتطلب من يهودا أن يحترم جاره فى هذه الظروف الصعبة التى « اصبح فيها راس مال الزلمة نشكة مصدية » .

قال له : انا بصفتى مختار البلد ، مسؤول عنها .

فساله الضابط يهودا : واين اهل البلد ؟

فاجاب : انا اهل البلد . شو بدك منى ؟

فقال الضابط : بدي اياهم ييجوا على البيادر ، روح

صبح يطلعوا على البيادر .

فمشى المختار والى جانبه ثلاثة من الجنود وهو يصيح :

ــ يا أهل البلد اطلعوا سلموا على البيادر !

ولم يصدق الضابط ان اكثر الاهالى الذين اكتشفوا « باب الجهة الشمالية المفتوح » قد حملوا امتعتهم وغادروا القرية . فسأل المختار :

ــ البلد كبيرة . وين الباقى ؟

وكشف له ان « الناس خافت من القواس فهربت فى انصاص الليالى » . وطلب من الضابط ، بحق الجيرة ، والمعرفة القديمة ، والخبز والملح ان يبقى هو ومن بقى فى القرية ، لكن « الضابط ملعون ، بده يزيح الناس » ، فقال له : لا استطيع ان ابقيك ، لانني لا احمل الاوامر بان ابقيكم هنا . ووضع امام المختار الخيار الى اين يتجه ، كان لطيفا من الضابط يهودا من بكنعام ، فلم يجبره بالخروج من الجهة الشمالية ، وكان لطيفا لدرجة انه ترك له حق الخيار « فى اى اتجاه بدك تروح » . واختار يوسف العيسى .. خربة ام الدرج وخرج المختار .

« بعد دقائق سمعنا طلقات رصاص ، عن مسافة كيلو متر .. ثم دخلت فرقة ، وين ما شافوا واحد ، قوسوه ، قتلوا اربعة ، واحد اجو عليه وهو نايم فى الفرشة واللحاف .. قوسوه .. متزوج وعنده اولاد .. اسمه محمد السليم الحردان .. » .

قديش بابنا عالى ، ما كنش يفوت منه . القول انهم ذبحوه فى السكين

ــ اسماعيل العرف « كان زلمه جهام ، وكان يملك دارين ، واحدة فى ام الزينات وواحدة خارجها » .

من يعرف اين اسماعيل العرف ، وفى اى دار يسكن ، فى ام الزينات او خارجها ؟ هدموا بيته الاول وهدموا بيته الثانى ، ولم تتركه قوات الاحتلال بدون مأوى ، بدون بيت ثالث . فبينما كان فى طريقه الى « العزبة » ، اوقفته مجموعة من الجنود . **« على مسافة اكم متر من القرية ، كان شاب مهزوم من البلد ومتخبي فى جب سريس . سمعهم بيسألوه : وين رايح ؟ قال لهم : فى الى عزبة ورايح اطل عليها ! قوسوه ، وقتلوه ، جثته مدفونة فى السنسلة » .**

والحج عبد الغنى كان اغنى رجل فى ام الزينات . وكان يبلغ الثمانين من عمره ، وبينما جلس فى بيته وحيدا دخلوا عليه ، فاستقبلهم كما تعود ان يستقبل الضيوف .

ــ تفضلوا !

ــ ماذا تفعل هنا ؟

ــ هذا محلى . تفضلوا اشربوا قهوة .

ويقول الشيخ الذى نتحدث عنه ، على ذمة الراوى ، انهم تفضلوا وشربوا القهوة .. وقوسوه وقتلوه . وخرجوا من بيته . ودخلوا دار الشيخ يوسف ، وكان فى البيت شاب « شو شاب . زلمه قديش بابنا عالى ، ما كنش يفوت من هالباب ، كان يشتغل فى الاى.بى.سى. فتشوه فوجدوا معه دفتر تسجيل . فاخرجوه من البيت . واخذوه الى الزيتون . وهناك قتلوه . والقول انهم ذبحوه بالسكين » .

كانوا سبعة شبان . خرج واحد من دار بشير .. ورجع يصيح : « الاولاد مقتلين فى خبيزه »

قبل ان تسقط ام الزينات ، خرج خمسة رجال مع زوجاتهم الى ام الفحم وعارة هربا من الموت ، حملوا جملا بالطحين وما استطاعوا ان يحملوا من عفش البيت وعبروا عند « مربط خبيزه » ، على الطريق انضم اليهم شابان هربا من الطيرة . لم يعرفوا ان هناك من ينتظرهم ، كانوا « ماشين وعندهم الله واحد » ، نطوقوهم ، وصاحوا بهم :

ــ قفوا سلموا !

فهجم عليهم حوالى عشرة جنود ، واخذوا يفتشونهم . كانت بنت المختار تلبس شالا من الحرير ، ولما مد الجندى يده الى زنارها سقطت اوراق فلسطينية . قالوا البنت : هاتي المصاري اللي معك . نفضت الزنار : فسقطت « المصارى » اكثر من الف ورقة فلسطينية .

سألوا البنات : لوين رايحين ؟

وفتشوا الجمل . فوجدوا شوال طحين و « قرطومة » وفشك انجليزى وسلاح « بيك » .

امروا النساء بأن يتابعن طريقهن الى ام الفحم ، وامروا الرجال بأن يقفوا صفا واحدا . كانوا سبعة شبان : يوسف ابو مهارج ، عادل الحسين الدبور ، حسين رجا فحماوى ، حافظ عبد الله فحماوى ، صبرى كيوان فحماوى واثنان من الطيرة لم يعرف اسمهما الشيخ الذى نتحدث عنه .

كان واحد من بلدنا من دار بشير ... زلمه فش اثبت منه .. خرج من ام الزينات ومشى على طريق خبيزه .. على البيادر شاف جثث الشباب ملقحة على

الارض ، عرفهم واحد واحد .. صبرى وعادل وحافظ .. رجع الى البلد يصيح :
ــ الاولاد مقتلين فى خبيزه .. الاولاد مقتلين فى خبيزه ..

كانت خديعة أولها على لسان يهودا وآخرها فى نمة عبدالله . اسأل هذا الطفل : بيقول لـك

قصة ام الزينات لم تنته عند بيادر « خبيزه » ، فبعد ان اكتشف اهلها ان هذه البيادر تحولت الى مسلخ .. الى مذبحة .. « يقتل فيها الرجال كما يقتل الذباب .. » حولوا اتجاههم الى دالية الكرمل بحثا عن ملجا ، ولكن لحقوا بهم الى هناك ، ولم يكن تشريدهم ممكنا الا بخديعة كان اولها على لسان الضابط يهودا من يكنعام واخرها فى ذمة الملك عبد الله ، واذاعاته التى تدعوهم الى الاطمئنان فالنصر حليفهم بقدرة قادر ومشيئة المليكة وابو حنيك ، قائد جيش عبد الله الانجليزى .

فالوا لهم : كل واحد يريد ان يسافر الى « حي العرب » ، ليسجل اسمه واغراضه . ونحن نوصله الى منطقة جنين .

احضروا لهم الباصات والشاحنات . فركبوا باصات اليهود حافين عريانين وحملوا اغراضهم على الشاحنات . « وعند مفرق المنصورة تابعت الشاحنات طريقها الى حيفا ، واوقفوا الباصات وامروهم كل واحد ينزل بثيابه . النسوان والاطفال اوصلوهم الى اللجون ، واخذوا كل الرجال من فوق ١٤ سنة الى معتقل عتليت . وهناك امضوا ٨ اشهر .. حفيانين عريانين . كل ٣٠ زلمه فى غرفة . زربوهم مثل الحيوانات . كانوا كلهم طبقة واحدة . ما فرقوش بين غني وفقير ، ولا بين متدين وجاهل ، ولا بين وجيه وقطروز ، اللي كان يقاومهم واللى كان يتآمر معاهم ، عاملوه نفس المعاملة . ما رحموا حد يا عمي ، ما رحموش الناس ، عذبوهم . ضربوهم . جوعوهم وبعد ٨ اشهر رموهم على الحدود .. يا عمى فش فى قلوبهم رحمة .. حتى بعد ما هدموا البلد ، ظلت دورياتهم تحرس المنطقة ، مرة راح زلمة عاجز ، عمره خفا الله يا ربى ٧٠ سنة ، راح على البلد ليحوش صبر ، كان راكب على الحمار ، لحقته سيارة جيش لعند سيح الحج .. ولما مسكوه توسوه ورموه على الارض .. هيك بدون سبب .. بعد ما مسحوا البلد .. وشردوا اهاليها .. بدهمش ام الزينات تكون واقفة .. بدهمش يكون الها اثر .. زرعوا الارض شجر صنوبر .. حتى ما حد يعرف انه كان فى قرية اسمها ام الزينات .. انا يا عمى من ام الزينات .. وما دام انا موجود ، واولادي موجودين ام الزينات موجودة .. اسأل هذا الطفل : من فين انت . بيقول لك انا من ام الزينات ..

مرة فى موظف سائل سأل ابنى هذا ، لما كان صغير . من فين انت يا ولد .
اجابه : انا من ام الزينات ..
فقال الموظف : والضراطة .
فأجابه : والضراطة منك ومن امك وابوك وحكومتك واللى جابك على هالبلاد .

عز الدين مناصرة

غافلتك ..
وشربت كأس الخليل

١ ــ بعثـــات دراسيـــة :

فى مطعم فندق الحزب ، رفعت كاسى
فى صحته
ورفع كاسه فى صحتى
وكان مشرق القلب .. وحزينا جدا
سألته عن رمان « كفر كنا »
فبكى حبيبته القديمة واستقال من السؤال
هل ارسلوك فى بعثة دراسية ــ واكمل
وهو ينفث سيجارته ــ :
مثلما ارسلونى ؟؟!!
قلت : اتعلم اللغات مثل جدى كنعان
الذى كان يلاحق الجليليات
بشبابه المزركشة وفرسه البيضاء
أبكى قرب أثافى الاعراب
الذين مروا من هنا
واتعلم لغة العصفور
حينئذ ،
دق كاسه فانشق الى عشرين
وانطلقنا نحو جبل الكرمل نرقب البحر
ونهرس لوز رام الله بغيظ بين اسناننا
ــ وعكــا ... ؟
ــ سيظل السور شاهدا
لانهم لم يستطيعــوا
ويا خوف عكا من هدير البحر !! .
وبكى
حتى ايقظنا ديك الفجر ، ضجيج الترام
قال : القهوة سيدة الاحكام
قلت : القهوة سيدة الاحكام
ودعنى : اخشى ان نتقابل فى بيروت
ودعته : اخشى ان نتقابل فى البيت الحرام
وضاع فى الزحام
ولم اره منذ سنين
وبالضبط .. منذ ثلاثين عام .

٢ ــ أوروبا ترقص :

تستيقظ أوروبا من نبيذ الليلة الماضية ،
اكون مستعدا لسماع وقع صداك البعيد
صباح ماطر .. وامراة ــ يا خالق السر ــ تصطلى
بجحيم موسيقى ، تنبعث كصهيل جنود الاسرائيليــين
المغيرين على قرانا الممتدة بين الشوك والمسامير .
ساودع عذابى برقصة [الرقص حنين الاحفاد
لهرس عظام الاجداد
الرقص : انا والحزن على ميعاد
اشواق عبيد لمخاصرة نساء الاسياد]
ها انذا أشعل نار حنينى
وسياج مدامع اهلى
اضاءه عابرة ــ لا فرق ، اغدا
سارى أمى ، هو السؤال المؤجل ابدا
أم انهمار دمى لغد آخر
موسيقى يا موسيقى :
وهج الشرق فى الشرايين ، توق
لصلاة قرب أسوارك
بئر فى منتصف القرية
تلويح لعصافير ترتعش على جدران كنيسة القيامة ،
استرخاء تحت شجرة بلوط فى الساحة ،
شيوخ يلعبون الورق ،
يغازلون امراة تمر
ويقيسونها بالاشبار ،
زيتونة فى المدخل قرب المدرسة الغربية
واحزان اخرى .
سانظم احزانى كجوقة نواطير الكروم فى الخليل ،
المطر يسح الان فى سماء خاصة
من مزابل الطفولة المليئة ببذور التمر
والبحر الميت استيقظ كسيف يلمع فى الشمس ،
قرب حزام المستعمرات
اوروبا ترقص ، تمطر ، ترقص
وانا أستعد لسماع لظاك

ونهر الليطانى يسرسب ماؤه
يسرى كنبيذ الليل الموحش فى دمى الان
فى دمى الآن .
اغدا ســارى امى
هو السؤال المؤجل ابدا
تشبهين ارتجاج شرايينى
امام حب جديد
كلما وصلت رسائلك دون رقابه
ها انذا اغادر .. واوروبا
غارقة فى جحيم الموسيقى
وانت كحلم بعيد ، بعيــد ،
بعيد ، بعيــد .

٣ ــ أرتكب حماقاتى .. وأعود اليك :

سافرت جفرا الى الكرمل
لماذا سافرت جفرا الى الكرمل
سافرت جفرا الى الكرمل
لتجلب لى سرا مدفونـــا
فى حجارة ١٩٤٨ .
سافرت جفرا الى نابلس
لماذا سافرت جفرا الى نابلس
سافرت جفرا الى نابلس
لتبحث فى التراب
عن قدمين متناثرتين .
سافرت جفرا الى الاردن
لماذا سافرت جفرا الى الاردن
سافرت جفرا الى الاردن
تلملم دم « أبى على » المتناثر فى الاحراش
سافرت جفرا الى حلحول
لماذا سافرت جفرا الى حلحول
لتزور شجر التفاح .. وقبر « رابعه »
سافرت جفرا الى بيت صفافـــا
لماذا سافرت جفرا الى بيت صفافا
لتوصل سلامى الى « تغريد »
سافرت جفرا الى بيت صفافـــا
سافرت جفرا الى بنى نعيم
لماذا سافرت جفرا الى بنى نعيم
سافرت جفرا الى بنى نعيم
لتهدى سلامـــاتى
الى الطلبة الناقمـــين
لتجلب لى صورة « هند » .
سافرت جفرا الى جنوب لبنان
لماذا سافرت جفرا الى جنوب لبنان
سافرت جفرا الى جنوب لبنان
كى تزور « النبطيـــه »
تنظر الى المدينـــة الاخرى
التى يفصلها الليطانى عنهـــا
ينهمر الدم من عينيهـــا
فمتى ينهمر الرصاص ؟!

***

أرتكب حماقاتى وأعود اليــك
أخونـــك مع زوجتى
واعـــود اليـــك
صفنت ــ يعنى وضعت يدى على خدى
قرب ضفة النهر الموحش فى الضواحى الغربيه
انا عز الدين المناصرة ،
سليل الكنعانيين ،
قبطان سفن الزجاج المحملة بالحروف
هو قلبى الذى يتمدد تحت بساطير الجنود
من بنى نعيم .. حتى دالية الكرمل
ولا اعترف ان حبكم كالمسامير
منقوش على جبينى
جفرا التى ماتت عند شاطىء عكا
هى أختى
وهم يتبرعون ــ والحق يقال ــ بالملايين
لكى « تستمر » الثوره .
دمى هو الراكض كنهر فى جروح الارض
ولا اشكـــو
فالشكوى لغير « بنى نعيم » ... مذله .

٤ ــ قصيدة الحجر :

وما رميت اذ رميــت
ولكن الطفل القى حجرا
فى وجـــه الجندى

***

هذا زمن الحجر الـــذى
لا يظل ملموما وقت الحوادث
زمن الاشتعال .
ها هى القرى تنفض غبار العثمانيين
هذا زمن الجليل الذى
يمد لسانـــه ،
وأمى شجيرة ذات مخالب
مزروعة شرقى مستعمرة « كريات اربع » .

***

هجم الطفل على البلدوزر وصرخ :
هذا جسدى فخذوه .. ورمى حجرا
كان ابراهيم غريبا
بللنا جفاف شفتيه
ومنحناه قبــرا
ل « سارة » الغريبـــه

في سفح جبل الجوهـــر
وما اكتفى ابن « ... » بهذا .
وانا جالس قرب خرير انهار المنفى
اعد حصى النهر
توشوش جراحكم في قلبي المتعب من الرحيل
استمـــع
والاسلاك تنخر عظامي
لكن دمع الصفصاف دمـــا
هو نجم مختبيء في كهوف الجبال
ينتظر فرصة الانقضاض على النكته
في الليل ارسلت لجفرا — سازورك
أعدي لنا ما استطعت من قوة .. وزاد
حان الوداع الى رحم الارض
اقول ملتقانا سهل الغزلان
وان راقبوك .. أو ان هاجسا اخبرك
اتركي آثارك قرب العريشة عند نبع المـاء
انني أتبع احبائي حيثما يكونون
واتبع الارض والصفصاف
ساجيء اليك كطفل غاب منذ ثلاثين سنة
وعاد اليك في منتصف الليل
فاتركي علامة قـــرب الشجرة
لكي اشم جذرك فيهديني اليك
قولي للرعيان ان ينشدوا اغنية الحجر
على مزاميرهـــم
او
اقترح التالي :
قولي للغيمة : .. يا غيمه
هل تتركين حبيبي بين مخالب الوحوش ؟!!
عندها تمطر الارض طيرا ابابيل
واكون قد كتبت قصيدة الحجر .

٥ — غافلتك .. وشربت كأس الخليل :

أسئلة — لا تلقوا ايها الاحبة
فالخليل عنب دمي
واذا شئتم أن احدد اكثر :
دموع السيد يوم اعتلى الخشبه
لفراق التلاميذ
واذا شئتم الوضوح :
قش وحصادون ومنازل مهدومه ،
عصافير تنقر لب الرمان ،
استيقاظ الثعالب في الوادي ،
هديل حمائم في اعالي الصخور ،
بركة تستل هديرها من عروق الجبل ،
رعاة ، حراثون ، وثوار .

من جهتي — الله يعلم — في حضرتك
يتلعثم لساني
لا يهم العنب ان يتاكد من صحة نسله
ولا اعتب على الدول المجاوره
قلت لابي ذر الغفاري :
لماذا تكذب عـــلى
هل بيني وبينك خلاف
ولماذا تشهر النظريات كسلعة رخيصة
ولماذا ضحكت على في الطفولة
تلك مدن تعارفنا عليها في بطاقات البريد
ايها الفلسطيني المقيم في صحرائهم
ساحاول تصحيح وطني المائل نحو موت كنعان
ساقول للاعراب :
تبحثون عن زبد البحر وروث الابل
و « اختلف » — « العاشقون »
من يحضر ماء الغصون
من شجرة بعيـــدة
تعيد العشق المتواصل لقلب شمس النهار
ساقول للشاعر القابع في السجن
انت ممثلنا الشرعي الوحيـــد
ممثلنا في الضوء
ونحن ممثلوك في الظلام
هل تذكر — والذكرى اندثار
حين غنينا معا عند شط العرب
وكان الزيت — الذهب يجرى تحت اقدامنا
ونحن نلهث كالعيس
سوف ابدا وانسق بين الروي والقافية
يدخل اللوز والكرمل في القصيدة
وتكون النتيجة :
الحجر قافيتي ، والقبلة الروى
وسانتحى جانبا واقول ما قاله جدي كنعان
قبل انحلال الشرايين
قبل رحيل القبائل ... قال :
الارض لمن يغازلها
هل اعجبك التاويل يا مدينتي
ما لمناديلك سوداء
ومقالاتك مستوية مع العرش
وهل النسيان كلمة شعرية
اعوذ بعنب دمي من سلام كهذا
نحن مدينون لدمع الخليل
— اترك مساحة بيضاء
لكي يتغزل الشعراء بدموع حبيبي —
واواصل عشقي
حين وصلت الى الحدود استرخت اعضائي

البقية على ص ٥٠

عائلة شيبالكوف

للكاتب السوفييتي الكبير
ميخائيل شولوخوف





ــ امراة متعلمــة انت ونظارتان فوق انفك ولكن اليس بمقدورك ان تفهمي اين بامكاني الذهاب معه ؟ !

ان لواءنا يعترس على بعد اربعين فرسخا من هنا . جئت سيرا على الاقدام وحملته بين ذراعي . الا ترين ان قدمي حافيتان . انت المسؤولة عن بيت الاطفــال ولهــذا عليك استقباله . لا مكان شاغرا تقولين ؟! والى اين اذهب به ؟! يكفيني المر الذي ذقته بصحبته . سئمت منه . طبعا انه ولدي . انــه عائلتي . لم يتجاوز العامين بعد من عمره لا أم له. لامه قصة أخرى كانت . ماذا ؟! وبامكاني ان اقصها ايضا . قبــل اكثر من عامين كان لواؤنا في مهمــة خاصة . لاحقنا عصابة اغناتوف في المناطق العليا من الــدون . كنت مدفعجيا . خرجنا من القرية . كانت السهوب عارية من حولنا ولكن الحر لا يطاق . صعدنا التل وبدانــا في الانحدار . كنت في الطليعة الى جانب عربة المدفع الرشاش . وفجــاة رايت امراة بجانب التل . اسرعت اليها .. نعم امراة مستلقية علــى الارض وفستانها فوق راسهــا . ترجلت . نظرت .. انها على قيــد الحياة .. وضعت قليلا من الماء .. فانتفضت المراة قليلا .. هنا حضر الفرسان من الفرقة .. وسالوها ــ من انت ؟ ولماذا تستلقين هنا في هذا الوضع الفاجر ؟! .

واجابت المراة ، وكانها عائدة من رحلة الموت ــ اختطفتني عصابة من منطقــــة استراخان وفي منتصف الطريــق اغتصبني بعض اعضــاء العصابة وقذفوا بي هنا .

وقلت للفرسان ــ ايهــا الاخوة اسمحوا لي بنقلها على العربة كضحية للعصابة .

ــ خذها يــا شيبالوك ! النساء كالقطط بسبعة ارواح .. لعلهــا

تعود الى نفسها ولنر ما سنعمل بها.

وماذا تظنين ؟! على الرغم من انني لا احب النساء الا ان الشفقة اجبرتني على مساعدتها .. واضفت الى متاعبي تعبا نسائيا . عاشت بيننا . نظفت ثياب البعض وساعدت في رتق ثياب اخرى . وكان الفرسان طول الوقت يقولون — ابعدوها من هنا لتذروها الرياح .

وكانت الرحمة مع كل كلمة كهذه تزداد في قلبي .. فقلت لها — ليس مكانك بيننا يا داريا . عدت لصحتك الان .. فابتعدي عنا والا اصابتك رصاصة ! الا انها صرخت باكية — اطلقوا النار عليَّ ، لن اذهب عنكم ابدا ..

وسرعان ما قتل سائق العربة ، فاقترحت :

— خذني سائق عربة فبامكاني قيادة الخيل كاي انسان آخر .

وهكذا كان . وقد اثبتت داريا انها لا تختلف عن اي قوزاقي في امكانية قيادة الخيول ، وبالاضافة الى كل المصاعب التي واجهناها .. والى كل الانتقادات والهزء ..

واستمرار مطاردة العصابة لاكثر من ثمانية اشهر .. انتهت الذخيرة لدينا . مترست العصابة في جهة واحدة من القرية . ومترسنا نحن في مواجهتها . وحافظنا في سر مكين ان الذخيرة انتهت لدينا . ولم نخبر احدا من السكان . وهنا حدث تغير مفاجيء . ففي منتصف الليل استيقظت على انين الارض الصارخ . فمن جهة اليسار يحاول افراد العصابة تطويقنا . ويجلد افراد العصابة خيولهم بضجيج وكانهم لا يخافون من عيننا الساهرة او من استعدادنا لملاقاتهم .

— استسلموا ايها القوزاق الحمر .. لا ذخيرة لديكم .. والا قضينا عليكم .

واضطررنا الى الانسحاب معتمدين على حقيقة من يملك خيولا افضل .

وفي الصباح على بعد خمسة عشر فرسخا من القرية تجمع اقل من نصفنا في الغابة . فبعضنا قتل والبعض الاخر واصل الهروب . وهنا شعرت بالم كبير .. لا يكفي ما وقعنا فيه فها هي داريا تواصل انحدارها نحو الضعف .. اسودت في الليل .. راقبتها في البداية . مزقت بيدها اوراق الشجيرات . ثم نامت على بطنها . بعد لحظات استلقت على ظهرها . ولاحظت ان الطلق جاءها .. بعد ان اعدت مكانا لها من اغصان الشجر كالدب .. ارقبها من بعيد .. فليس من اعمال القوزاقي ان يولد امرأة .. آلام الولادة تسيطر عليها .. وانا ارقبها وافكر — اذا لم تلد الان فستموت .

ركضت نحوها .. سالت بماذا يمكنني مساعدتها .. لم تجب بل دفعت بيدها الى فمها ..

لم اخف قتل اناس خونة .. ولكني امام هذا الوضع تحجرت .. حمت حولها .. وفجأة توقفت عن العواء .. وقالت بصوت اجش :

— انصرف ، ياشا ، من الذي اخبر العصابة ان لا ذخيرة لنا ؟ ؟

ونظرت الي باهتمام وجدية .

— من ؟!

— انا .

— انت يا داريا ؟. كفى تخريفا .. لا وقت للمزاح . استلقي واصمتي . لكنها قالت :

— الموت يقف فوق راسي . اريد ان اعترف لك . انت لا تعرف اية جيفة رقطاء ادفأت .

— اذن اعترفي .

وسردت عليَّ كل شيء في الوقت الذي كانت فيه تضرب راسها بالارض . قالت داريا :

— لقد انضممت الى العصابة بمحض ارادتي فقد احببت زعيمها اغناتوف . قبل حوالي سنة ارسلوني الى لوائكم لاجمع المعلومات اللازمة بعد ان تظاهرت بانهم اغتصبوني . اني اموت ولولا ذلك لانصبت على اللواء باجمعه .

واشتعل قلبي غضبا .. لم اتمالك نفسي فركلتها بقدمي حتى انفر الدم من فمها . وهنا عاودها الطلق . نظرت فاذا بطفل يستلقي بين فخذيها ، طفل لزج كارنب بين فكي ثعلب . ضحكت داريا وبكت .. زحفت الى قدمي تقبلهما الا انني ابتعدت عنها وتوجهت الى بقية اللواء .. اخبرت الجميع بما قالت.

احتد غضبهم . ارادوا في البداية إعدامي.. الا انهم بعد لحظات قالوا:

— حسنا . لقد ساعدتها انت وانقذت حياتها .. اذن فعليك ان تضع حدا لما اعطته الاستمرارية .. وما ولدته.. والا فمصيرك معروف.

استلطفت راكعا على ركبتي :

— اقتلها انتقاما للرفاق الذين استشهدوا بسبب خيانتها . ولكن عليكم ان تفهموا عواطفي نحو ولدي. انه يشاركني جسدي .. انه عائلتي فليبق على قيد الحياة . لديكم عائلاتكم واطفالكم . ولا احد لي إلاه.

وهنا اشفق عليَّ الفرسان وقالوا:

— حسنا . لتتمَّ عائلتك . فلعل منه يخرج مدفعجي جديد كشيبالوك .. ولكن اقض على المراة .

ركضت نحو داريا . جلست والطفل بين يديها ..

— لن ادعه يمس نهدك . فاذا ولد في فترة صعبة فلن يعرف طعم حليب امه . اما انت فاني مجبر على قتلك فقد خنت سلطتنا السوفييتية .. قفي فساطلق النار على ظهرك .

— ياشا . ماذا مع الطفل ؟ اذا قتلتني فسيموت بلا حليب امه .. اسمح لي بتغذيته وتربيته وبعد ان يقوى اقتلني .

— لا .. لا يمكن لي ان ابقيك على قيد الحياة .. وان تلولي الطفل .. ساحافظ على الطفل .

ابتعدت خطوتين .. وجهت البندقية .. بعد ذلك عدت الى الفرسان لا الوي على شيء ..

— البقية على ص ٢٩ —

في أدب توفيق الحكيم وفكره عبر مسرحية بجماليون

بقلم : عيسى لوبانى ـ الناصرة



يحتل الكاتب توفيق الحكيم موقعاً مميزاً في الادب العربي عامة وقطاعه المصري خاصة . وقد برز بعد رحيل جمال عبد الناصر بين اولئك الذين ارتدوا عن النهج الناصري التقدمي وبايع صاحب النكسة الرجعية حاكم مصر الحالي انور السادات بكتابه « عودة الوعي » .

ولم يكن هذا التحول في موقف توفيق الحكيم مصادفة .. فقد انتسب منذ البداية الى الفكر البرجوازي واختار تياره التجريدي كما انه انحاز الى الفرعونية او الاقليمية المصرية وكفر بهوية مصر العربية في روايته الذائعة « عودة الروح » .

والكاتب عيسى لوباني ، الذي عرفته « الجديد » شاعرا في سنوات الستين كتب هذه الدراسة لتكون اطروحته لنيل درجة « ماجستير » في جامعة تل - ابيب ، وهو يلقي اضواء على تفكير توفيق الحكيم عبر تحليله بجماليون ويصل الى ماهية هذا الكاتب : مع انه كتب هذه الدراسة قبل ان يكشف توفيق الحكيم اوراقه ..

وستنشر هذه الدراسة في حلقتين ، الاولى في هذا العدد وتشمل الفصلين الاولين : توفيق الحكيم مهندس افكار وبجماليون الاسطورة .. والثانية وتشمل الفصلين الاخيرين : بجماليون الحكيم وتقييم ، وسننشرها في العدد القادم .

■ الفصل الاول ■

الحكيم .. مهندس أفكار

« صدقت ، يا اندريه ، في قولك اني اصلح ان اكون رياضيا ، وان افكاري وتصرفاتي تكاد تسير على طريقة هندسية او حسابية او جبرية » .

« زهرة العمر » ـ الحكيم

انطوى الحكيم على نفسه ، واعتزل الناس داخل جدران برجه العاجي . وعلى الرغم من انه عمل في الوظيفة ، وفي بعض الصحف ، حينما عاد من فرنسا ، غير انه عاش غريبا ، غربة الروح . وهذا ما نجده واضحا في رسائله الفاجعة الى صديقه « اندريه » ، والتي نشرها في كتاب اسماه « زهرة العمر » . فهو يتحدث عن غربة المفكر ، او الفنان ، فيقول :

« لا حياة في مصر لمن يعيش الفكر » (١) .

ويتحسر ، ويكاد يذوب شوقا للشاطىء الآخر ، حيث الموسيقى ، والاضواء ، والحياة الفكرية ، فيقول لصديقه « اندريه » :

« حدثني انت عما عندك في الشاطىء الآخر . آه الشاطىء الآخر ، المائج باضواء الحياة الفكرية » (٢) .

ثم يستطرد ، ويلخص حياته ، كلها ، قائلا :

« حياتي كلها ليست سوى قارب نمل » (٣) .

ووصل به الامر ، الى ان يرى بصديقه «اندريه» ، رمزا لتلك الحضارة التي فارقها بجسمه ، وبقي مرتبطا بها بروحه . فالحكيم يتشبث بالغرب ، وبحياة الفن والفكر ، ويصارع من اجل الابقاء على تلك الرابطة مع الغرب ، وبواسطة « اندريه » ، فيقول :

« لقد قطعت عهدا على نفسي عند ذاك ، الا اتحدث في غير التافه من الامور » (٤) . ثم تصل اليه رسالة من صديقه اندريه ، فيصحو قائلا : « انتهى بي الامر الى ان النور يأتيني من الشاطىء الآخر ، وان الامل معلق على شخص مثلك يهز لي المصباح من الجهة الاخرى » (٥) .

انطوى الحكيم على نفسه ، لاحساسه بالتناقض بين المثل والواقع . والمثل هو تلك الحضارة ، المتمثلة في باريس ، منارة الفكر والفن ، على حد تعبيره . اما الواقع ، فهو ذلك الواقع المتخلف في بلده ، حيث يشربون مع البهائم من الترعة ، وحيث لا تجد سوى الصدى واحيانا تعدمه ، اذا ما نطق الفكر وحاول ان يتنفس . انه كالسمكة التي اخرجت من مائها ، او كالرئة التي حرمت من اكسجين التنفس . لهذا سقط الحكيم في احبولة التناقض او انفصام الشخصية ، اذا شئنا التحديد . فانزوى ، يصارع الحياة ، في ذهنه ، وهو البعيد عنها من خلف الاستار ، او زجاج النافذة ، يقتنص « تلك الاشباح من الافكار المجردة التي تزوره بين الحين والحين في مخيلة العذاب ، الى ان ينجح في القبض عليها ، ومن ثم تتجسد في صفحات من تجربة الالم في معاناة الخلق » (٦) .

وقد وجد الحكيم من السذج والبسطاء من بين القراء ، من كان يحاول ان يعبر عن طبيعته المنطوية ، فيصفه بعدو المرأة ، او بحر النسيان ، او الخيل الابدي (٧) .. فاستهوته تلك الصفات واستساغها . حتى نجده اخيرا ، يؤلف كتابا ، اسماه ، « من البرج العاجي » . او يطلق على نفسه اسم راهب الفكر ، او عدوا للمرأة حتى النهاية ، والى مثل هذه الصفات والنعوت .

والان ، ما علاقة الانسان الفنان ، بالحياة ؟ وبشكل ادق ، ما نوع العلاقة التي تفرض نفسها ، على الانسان الفنان ، بوقوفه امام الطبيعة ، في علاقة جدلية مستمرة ؟! . اتفق الجميع ، وخاصة اولئك الذين عالجوا طبيعة الفن والفنان ، وعلى راسهم « لامسون » و « هربرت ريد » ، بانها علاقة احساس ومشاعر ، وانفتاحها على الحب والطبيعة تقرر نوعية الفنان ، ونوعية فنه ، لانها مسالة ذاتية بحتة اولا وقبل كل شيء . فكل شيء ينزل الى قعر ذاتية الفنان ، وهناك تجري عملية « التمثيل » ، ومنها نستطيع ان نسمع الموسيقى ونرى التمثال ، ونقرأ المسرحية او الرواية ، فنعجب تارة ونشمئز اخرى وهكذا . فاذا « وجد انسحاب الفنان على الطبيعة ، او انفتاحه عليها ، ومنحى عرضه للحياة ، تبين اتجاه ذاتية الفنان ، ومنزع مزاجه الخاص » (٨) .

يرى اسماعيل ادهم ، في كتابه عن الحكيم ، ان الحكيم « ذو طبيعة تتعلق بعالم ما وراء المحسوس ، رادة اليه عالم الحس » (٩) .

ويرى نفس الراي ، غالي شكري ، من ان « ظاهرة الانطواء عند الحكيم ، قوت الشعور بالشذوذ عنده ، فتقوقع . ومن هنا كانت تجربته مع الحياة ، تجربة ذهنية » (١٠) .

قلنا ، بان الحكيم ، انطوى على نفسه ، وعاش داخل تلك الاسوار الشاهقة ، او ما اسماه فيما بعد « البرج العاجي » . ولكن ما هي الظروف والملابسات ، التي فرضت هذا الوضع على توفيق الحكيم ؟ ، وهل كانت تلك التجارب الذهنية التي صاغها لنا الحكيم ، نتيجة طبيعية ، لذلك الانطواء داخل ابراجه ؟ . لا شك في ذلك ، فالحكيم لم يكن مصطنعا لذلك الانطواء ، وتجاربه الذهنية لم تكن الا نبتا طبيعيا لتلك التربة ، ورهينته كانت استجابة منطقية لحركة تلك الافكار الهائمة ، التي لم تتركه لحظة ليتمتع بالحياة ، حيث فرضت عليه : « ذلك التجرد الكامل من كافة المغريات الطارئة ، والنزوات العابرة ، والملاذ السهلة المباشرة » (١١) ، او لعلها ، اي الرهبنة الفكرية ، والتجرد الكامل من مغريات الحياة ، كانت تحصيلا حاصلا ، من ان الفاشل في الحياة يحاول ذلك في الفن ، كما قال في « الرباط المقدس » ، و « عصفور من الشرق » .

ولكي نجيب على تساؤلنا الاول ، يجب ان نبحث في الارضية التي ، انبتت لنا الحكيم ، فكونت تلك الذاتية التي يجب ان تنسحب ، او تنفتح على واقعه المحيط به .

اذا دققنا النظر في جميع اتجاه حتى الخمسينات ، من الممكن ان نضعه داخل اطارين محددين : الحكيم المفكر مع بعض التحفظ ، والحكيم الفنان . وقد اتفق جميع الباحثين في ادب الحكيم ، ومنهم غالي شكري ، وعبد المحسن طه بدر ، واسماعيل ادهم ، والدكتور علي الراعي ، ويحيى حقي ، بان « الفكرة المصرية » اولا قد شغلت الحكيم كثيرا . فناقشها وخاصة في « عودة الروح » ، وفي بعض المسرحيات التي كتبها قبل سفره الى باريس . وقد صدق عبد المحسن طه بدر ، حينما صنف الحكيم مع هؤلاء الادباء امثال طه حسين ، وهيكل ، والعقاد ، والمازني ، داخل اطار تلك المدرسة التي اسماها « المدرسة الذاتية » ، حيث لم تجد بحكم تطورها الفني في اوائل هذا القرن ، سوى الاسلوب الذاتي — « الاعترافات » ، في التعبير عن ذلك الانفتاح على الواقع المحيط بهم . وهذا شيء طبيعي ، لا سيما والرواية المصرية ، كانت ولا تزال تحبو ، ولم تكتمل لها الاسباب ، بحيث تعبر تعبيرا واعيا ، عميقا ، عن انفعال الجماهير مع واقع متخلف ، يرزح تحت نيرين ، نير الاستعمار الغربي من ناحية والتخلف الحضاري من ناحية اخرى (١٢) . وكانت هذه الجماعة « تتجه بمحاولاتها الى تحرير الفرد المصري اولا ، وابراز وجوده ، المتميز ، واستقلاله الذاتي » (١٣) . وهذا شيء طبيعي ، لا سيما والطبقة الوسطى ، كانت تحاول ان تجد لها مكانا في صراعها مع الاقطاع . وبحكم مصرية هؤلاء الكتاب ، اصالة هذه المصرية ، كان الامر بالنسبة لهم : « هو تغيير القيم والافكار التي يعيش بها

مجتمعهم ، وقضية حياتهم الاساسية؛ لان تحطيم القيم التي يعيش عليها مجتمعهم ، يتيح لهم الفرصة لخلق مجتمع جديد يمنحهم فرصة أكبر لتحقيق وجودهم وآمالهم » (١٤) .

ولكن القوى المناهضة لهذه الجهود كانت قوية ، والترسبات كانت متحجرة ، بحيث دفعت بالبعض الى مهاوي اليأس . فلجأ الى السياسة ، لاسباب لا مجال لبحثها هنا . اما الاخرون الذين يتمتعون بحاسة الفنان ، فقطعت على نفوسهم ، تلك الحاسية ، التي تدفعهم للبحث عن مأساة الانسان ، وبخاصة حينما يتعلق الامر بقضايا الوطن بشكل عام ، او بقضايا الذات ، بشكل خاص ، كالحب ، او الكره ، او غيرها من العواطف الانسانية المعقدة .

حاول الحكيم ان يتصل بواقعه ، على مرارته ، ولكن طبيعته الخاصة ، جعلته يرتد الى داخله ، بعد محاولات يائسة ، ويصنع من ذلك الواقع الذي يحاول ان يفهمه ، ثم يفسره ، بناء ذهنيا مجردا ، بناه على قاعدة التداعي . والتداعي كما هو معروف ، لا يمكن ان يحدث إلا في الذهن ، والذهن الخصب بشكل خاص . والحكيم لا ينقصه ذلك على الاطلاق كما رأينا ، لهذا عاش في عالم الاحلام ، يجرد ، ثم يبني ، ثم يهدم ، وهكذا الى ما لا نهاية . الم يقل لنا بوضوح ، بنفسه في كتابه « زهرة العمر » ، بانه كان يجلس ساعات طويلة ، يقلب الافكار في رأسه ، فيبني حضارات ، ويهدم ممالك ، ويثل عروش ، وهو قابع في عزلته خلف اسوار برجه العاجي ؟ فالعزلة والتجرد وطبيعته الخاصة ، كونت لنا ذلك الكائن الخاص ، الذي اسماه الدكتور اسماعيل ادهم ، الانسان ذا الاتجاه الذهني الغيبي ، حينما قال : « ان حياة التجرد التي عاشها الحكيم جعلته يخلص باتجاه تكويني ، ينظر العالم بنظرة مجردة ، وترجع بالعالم المنظور الى ما وراء المنظور . ومن هنا كانت الغيبية في الاتجاه الذهني عند الحكيم » (١٥) .

هل نفهم من ذلك بان الحكيم يئس من ذلك الواقع ، ونفض يديه من امكان النهوض به ؟ ان بداية الحكيم الفنية ، وبخاصة في مجال المسرح ، في تلك الفترة المبكرة من شبابه ، تعتبر محاولة جريئة ، ومساهمة متواضعة ، في البحث عن وسائل لاصلاح ذلك الواقع المر . ولكن ذلك الواقع كان اقوى واعتى من ان يستطيع ذلك الشاب ان يقف امامه . مضافا اليه موقف والديه منه ، محاولين ابعاده عن الانغماس في ذلك الوسط الذي اعتاد المجتمع ان يطلق عليه حينذاك « المشخصاتية » . ولهذا كانت محاولة والده ارساله الى فرنسا ، لاتمام دراسته القانونية ، هدية ، سقطت عليه من السماء ؛ مع الفارق في الهدف .

فهدف والده كان رده الى الواقع ، ليعيش كما يعيش الاخرون ، او كما عاش هو نفسه ؛ حيث اجبره واقعه المعيشي الضنك ، ان يتخلى عن طموحه الفني والادبي في مجال الشعر والفلسفة . فالحكيم نفسه يروي لنا ؛ كيف ان والده ، كان غارقا ، ومنصبا على : « الواقع اليومي ، واقع حياته العملية والوظيفية والزوجية ، ولا علاقة له بالشعر والفكر والتفنن » (١٦) اي ان الملابسات والظروف ، التي احاطت بالوالد ، قد خنقت ذلك الطموح ، ولم تبق منه شيئا ، الا ذلك الانطفاء الذي حدثنا عنه الحكيم نفسه في كتابه «سجن العمر» ، فخشي نفس المصير ، فصمم على الهرب ، ليخلص بجلده . فكان سفره الى فرنسا ، نوعا من الهروب ، الهروب من الواقع ، واللجوء الى الشاطيء الاخر ، شاطيء الحضارة ، التي بهرته ، لانه كان على اطلاع على بعض ذلك التراث . وهناك غرق الحكيم الى اذنيه في تلك الحياة اللاهية ، حتى انه ، لبس الاسود والقبعة وعاش حياة الفنانين في « مونمارتر » ، واخذ يحاول الكتابة بالفرنسية ، الى ان فشل في دراسته القانونية ، ودعاه والده للعودة الى الوطن . وهنا كانت المأساة بالنسبة للحكيم . فحينما عاد الى مصر ، كانت الامور بالنسبة له ، تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه قبل سفره الى فرنسا . فهو انسان آخر ، عاش سنوات للفن والفكر ، ونهل من منابع الحضارة الغربية ، فلم يترك شاردة ولا واردة الا اطلع عليها ، حتى الطبيعيات والرياضيات والهندسة ، قرأ فيها ، لاعتقاده بأن الفنان يجب ان يكون « موسوعيا » .

ولكن الامر في مصر شيء آخر . عليه ان يعمل من اجل « لقمة العيش » قبل كل شيء ، ثم يحيا للفكر والخيال بعد ذلك .

ولعل اروع ما كتب توفيق الحكيم ، هي تلك الرسائل ، التي كان يرسلها الى صديقه اندريه عبر البحر ، والتي اسماها « زهرة العمر » . ففيها نستطيع ان نضع ايدينا على حقيقة الحكيم كفنان يبحث عن المطلقات الذهنية ؛ ويسمو على كل واقع ؛ لا يتفق وطبيعته الحساسة ؛ الانيقة . فهو يبث صديقه اندريه ؛ قائلا : « بأن لا شيء يعوقه عن النجاح ؛ سوى طبيعته التي خلقت للغناء في الفضاء » (١٧) . ثم يصف لنا خياله واحلامه ؛ ومن اي نوع هي !! فيقول : « انها خيالات الكثيرة ؛ التي احياها ؛ تسبب لي تارة الالام ، وتارة الاحلام التي لن تتحقق يوما » (١٨) ؛ ثم يستطرد ؛ فيصف لنا خياله العقيم ؛ فيقول : « ان خيالي مع الاسف ؛ ليس من نوع الخيال ؛ المثمر ؛ الذي يخدم الشعراء والكتاب ؛ بل هو من نوع الخيال المهلك » (١٩) .

ومن هنا نستطيع ان نفسر ؛ علاقة الحكيم بالرمز ؛ او بالادب الرمزي « السورياليزم » . لقد قرأ هذا

الادب وتأثر به ، علاوة على تأثره العميق بالرومانسية ، ومزجه بين الاتجاهين . فرومانسية الحكيم ، كانت قاعدة مواتية ، لكي يبني عليها رمزيته فيما بعد ، وخاصة في مسرحياته تلك ، التي سماها مسرحيات ذهنية . ولكن ينبغي ان ننوه قبل كل شيء ، الى ان رمزية الحكيم ، التي واكبته في كل اتجاه فيما بعد ، وحتى اليوم ، تختلف كل الاختلاف ، عن رمزية كتاب الغرب . لقد كانت رمزيته نابعة من احساس بالواقع ، يشعر تجاهه بالفجيعة ، لانه لم يستطع ان يصنع له شيئا ، ولكنه مرتبط به ارتباط العضو بالجسم . فصعد في عالم التخيل والذهن ، الى تلك القمم الشامخة ، حيث تنبثق الرموز من عالم ما وراء الحس ، ولكنها تتصل باكثر من عصب بعالم الحس والواقع . لهذا يعتقد اسماعيل ادهم وبحق : « بان رمزية الحكيم يشوبها شيء من الوضوح ، نتيجة لطبيعته الحسية ، التي ذهبت في عالم التخيل ، فتحولت **اساسا** في حياة التجرد التي عاشها » (٢٠) . اي ان رمزية الحكيم لم تكن اصيلة ، انما هي مستوردة ، بحكم ثقافته الاجنبية اولا ، ثم صعوبة تقسيم الرمزية ، كمذهب ادبي او فني ، الى رمزية واضحة ، ورمزية غامضة او مبهمة ، كما يشاء البعض ان يسميها ، ثانيا .

* * *

يتساءل الحكيم في المقدمة التي كتبها لبجماليون ، عن طبيعة الخيبة التي اصابته ، فاصبح يكتب روايات ، اذا اصغى اليها الكبار ناموا . ويجيب على تساؤله . قائلا : « اني اليوم اقيم مسرحي داخل الذهن ، واجعل الممثلين افكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية اثواب الرموز » (٢١) . اي ان الحكيم يعترف مسبقا ، بانه يدير افكارا تهوم في المطلقات من المعاني ، بعد ان يكسوها باثواب الرموز . ثم لا يعنيه من الامر شيء : أوحت بالعمل ، ام حلقت ثانية الى ما وراء المحسوس ، بعد ان تفشل في ايجاد ما يلابسها من عالم الواقع . ولعل الدكتور علي الراعي ، في كتابه « دراسات في الرواية المصرية » ، قد وصف بدقة هؤلاء الكتاب المثاليين والرمزيين ، امثال الحكيم ، حين قال : « ان الثورة عند الحكيم ، الثورة سنة ١٩١٩ في « عودة الروح » ، كما هي عند **المفكر المثالي** النظرة ، فكرة اولا ثم عمل بعد ذلك . الفكرة هي التي توحي بالعمل ، ولا يمكن لعمل ما ان يجدي دون ان تسبقه الفكرة » (٢٢) .

ولكن العمل المسرحي ، الذي يرغب الحكيم ان يقيمه في الذهن ، يحتاج الى بناء فكري ، اي بناء مادي ، تتوفر فيه كل عناصر الصراع الدرامي الناجح ! فاي نوع من الصراع ، يقدم لنا الحكيم على مسرحه الذهني ؟ .

في المقدمة التي قدم بها مسرحيته «الملك اوديب» ، يقول : « من الصعوبة بمكان ، ابراز روايات يدور فيها الصراع بين **فكرة وفكرة** ، على مسرح اخر ، غير **مسرح الذهن** . ولكن هذا المسرح الذهني لا بد منه ، وما دامت هنالك موضوعات لا محيص من ابرازها ، تقوم على افكار مجردة ، واشخاص غير مجسدة . فالصراع بين الانسان ، وبين القوى الخفية التي هي اكثر من الانسان : مثل الزمن ، او الحقيقة ، او المكان الخ .... لا يمكن تجسيده حتى يلائم المسرح المادي ، الا اذا لجانا الى طريقة التجسيد الوثنية ، وهو امر لا اظن العقلية العربية الاسلامية تسيغه » (٢٣) .

اي ان الحكيم ، حينما عاد من فرنسا ، كان راسه مملوءا بافكار التراجيديا . ولكن المسرح في مصر كان قد اختفى ، ولم يبق منه شيء . فيقول الحكيم ، مقررا بعصبية : « وعندما يعوز الكاتب مسرح ، ينهض عليه افكاره ، فانه يقيم في الحال مسرحه بين دفتي كتاب » (٢٤) . وعلى هذا الاساس ، ومن هذا المنطلق ، كتب الحكيم « اهل الكهف » ، ثم « شهرزاد » .

يقسم الناقد الفرنسي « تيبوديه » المؤلفين المسرحيين الى فئتين : « فئة تتخذ الحياة الانسانية في ذاتها موضوع حركتها ونشاطها ، وفئة تجعل من تلك الحياة **نغمة فكرية** ، تلعب بها . فئة تصور حركة الادميين في الحياة ، وفئة تصور تفكير الادميين في الحياة » (٢٥) .

اي ان الحكيم يضع نفسه ضمن الفئة الثانية ، اذا اردنا تصنيفه ، حسبما ورد في مقدمة «بجماليون» ، فئة اولئك الذين ، يجعلون من الحياة افكارا تتحرك ، ولكن ضمن تجارب ذهنية ، بحيث يصعب في كثير من الاحيان اخراجها وخاصة في بلاد لم يستكمل المسرح عدته بعد . ويخرج الحكيم بعد كل هذا ، الى النتيجة التالية وهي : « ان موضوع المسرحية هو الذي يحدد دائما نوع المسرح . فاذا قامت الرواية على حركة الادميين كان مكانها المسرح المادي ، واذا قامت على حركة الفكر ، كان مكانها المسرح الذهني » (٢٦) .

وهذا بالضبط ما اراده الحكيم ، حينما وضع نصب عينيه ادخال التراجيديا ، الى الادب العربي ، وبدأ ذلك بمسرحية « اهل الكهف » ، ثم الحقها بـ « شهرزاد » ، ثم بـ « بجماليون » عام ١٩٤٢ .

والملاحظ في هذه المسرحيات اطلاقا ، ان الحكيم ينفي وجود الشخصية الانسانية، ثم النموذج الانساني، الذي تعتمد عليه المسرحيات التحليلية ، وينفرز في العقل الباطن ومناطق اللاوعي ، في النفس الانسانية . ولهذا ، صدق اسماعيل ادهم ، حينما قال : « ان الحكيم يخلق شخصياته على اعتبار انهم لا حقائق ثابتة لهم ، ذلك انه يعتقد ان الشخصية وهم زائف . فتراه يحطم فكرة النماذج الانسانية التي هي الاساس في المسرحية التحليلية ، ويقيم فكرة اللاواعية والعقل الباطن متاثرا بفرويد . وهو في كل هذا يبين اثر عدم

توازن العواطف فى حياة الاشخاص » (٢٧) . ولا نعدو الحقيقة ، اذا قلنا ، بأن الحكيم فى اقامته فى فرنسا ، وباعترافه بالذات ، قد تأثر بمسرحيات بيراندللو ، واندريه جيد ، وابسن ، وبرنارد شو ، حيث تلعب الافكار والمشاعر ، الدور الاكبر فى بناء مسرحيات هؤلاء العباقرة . ولكن ، يبقى السؤال ، الذي ينبع من صميم المسألة ، وهو هل نجح الحكيم ، كما نجح هؤلاء ؟ والى اي مدى ؟

ان طبيعة الحكيم التجريدية ، وشغفه الشديد بالصعود ، والعبور الى ما وراء الحس ، وقدرته الفائقة على تنسيق الافكار ، تنسيقا هندسيا دقيقا ، تجعلنا بارتياح نسميه ، مهندسا ادبيا ، يتقن صنعته ، فهو يعترف قائلا : « انني مهندس ادبي ، من ذلك الطراز الذي يشيد المعابد ، ذات الاعمدة الضخمة المتناسقة ، ولا شيء غير ذلك » (٢٨) . ولكنه هائم ، يحاول اقتناص تلك الرموز والافكار ، ويلهث مرهقا ، لعله يستطيع ان يضع يده عليها ، فيقيم قصوره الفنية ، فى ذهنه ، عالية شامخة ، متينة البناء ، راسخة الاساس ، لانه : « لا يرضي غريزته الفنية ، مثل الصحة فى البناء ، سواء كان هذا البناء لهيكل آدمي او فني » (٢٩) . ويضيف بعد ذلك ، مخاطبا صديقه الفرنسي « اندريه » ومفسرا سبب ايثاره المسرحية التمثيلية . فيقول : « ولعلك مستطيع تعليل ايثاري للقصة التمثيلية ، فهي كما ترى الزم واقرب ، الى دقة البناء من القصة المروية » (٣٠) .

فالحكيم كما نرى ، شغوف بالتصميم المتين ، سواء اكان ذلك فى الجسم الانساني او فى بناء الهيكل الفني ، والمسرح الذهني ، يعتمد فى الاساس على قوة التصميم ، لربط تلك النغمات الفكرية ، بعضها ببعض ، اثناء صعودها ، فى تطورها الحتمي ، للوصول الى قمة التكامل والتحرر ، والا انهارت كانهيار ذلك البناء الذي اقيم على الرمال . لا غرابة فى ذلك ، فالحكيم فنان ومصمم افكار ، ومن عبيد ذلك الاله الذي ضحى بكل شيء من اجله ، حتى الحب ، حتى فينوس . فكان كلما حاول ان ينغمس فى الحياة ، ناسيا نفسه يعود : « لينكب على اوراقه ، غير حافل بغضب آلهة الحب ، معفرا جبينه عند اقدام إله الشعر والفن » (٣١) .

ومن هو هذا الإله ؟ انه ابولو ، احد آلهة الاغريق العظام ، والذي يجسم عندهم ، الانسجام فى شتى اشكاله ، فى الموسيقى والشعر . ففي الحياة الاجتماعية ، كإله القانون والنظام ، وفى الجسم الانساني ، كإله الصحة والبناء الجسدي السليم . انه رمز الحياة المثلى (٣٢) .

والحكيم فى مقدمة « الملك اوديب » ، يدمغ نفسه بنفسه ، حينما يناقش المسرحية التي كتبها « جيد » بالعنوان نفسه (الملك اوديب) ، اذ يتهمه بتجريد التراجيديا الاغريقية من «جمالها الفني وجلالها العاطفي» وعرضها فى اطار « فكري محض ، ليمتع امثاله من محبي الفكر المجرد » (٣٣) . ثم يستطرد الحكيم قائلا : « ولو اني تناولت اوديب منذ عشر سنوات ، لجردتها انا ايضا من كل شيء ، الا مما أردت ان اصب فيها من آراء . هكذا فعلت فى عام ١٩٣٩ بقصة « مشكلة الحكم » ، ثم فى قصة «بجماليون» » (٣٤) .

إذن ، كان الحكيم حتى كتابة «اوديب» ، يؤمن بما اسماه « التجريد » ، اي اقتناص الافكار وتصميمها ، والبحث لها عن اطر او ملابسات فى الواقع لاخراجها ، لمخاطبة عقول قرائه ، تماما كما فعل بمسرحياته السابقة لهذا التاريخ ، كـ « شهرزاد » ، و « اهل الكهف » ، و « بجماليون » ، و « مشكلة الحكم » .

وبهذا نفهم مدى تأثره بمدرسة « جيد » العقلية ، التي استمرأ اجواءها ، وتسلق قممها الشامخة ، دون ان يخشى دوارها الذي يغري بالوقوع ، على حد تعبيره هو ، فى كتابه « راهب مع النساء » ، بحيث اصبح من المألوف وصف كثير من النقاد لانتاجه المسرحي ، بانه : « مسرحيات فكرية ، او ذهنية بحتة » (٣٥) . اي تصورات قد تمت الى الواقع بصلة ، ولكنها لا تعيش ذلك الواقع ، لانها : « طبيعة مفكر يعيش داخل اطار افكاره » (٣٦) . ولعل القول الفصل ، والذي يحسم الامر ، تلك الاسطر ، من رسالة له الى صديقه الفرنسي « اندريه » ، يصف فيها تلك الظاهرة التي تسيطر على تفكيره ، فيقول : «صدقت يا اندريه ، فى قولك اني اصلح ان اكون رياضيا ، وان افكاري وتصرفاتي ، تكاد تسير على طريقة هندسية او حسابية او جبرية ... ان اسقاطي الحياة والعواطف كما هي ، كما يراها ويحسها دهماء الناس وركوني الى الطريقة الرياضية فى تصريف افكاري وتاملاتي لمصيبة كبرى .. اليك دليل آخر فى قطعة « الحلم » التي ارسلتها اليك . انك ولا شك لا تجد فيها اي صورة تنطبق على الحياة وعواطف الحياة ، ولكنك قد وجدتها متمشية مع العقل والمنطق الذي تقتضيه فروض خاصة ، انشأتها انا فى البداية . تلك هي الرياضة ، فرض وعقل ومنطق » (٣٧) .

وهكذا كان الحكيم ، مصمما لافكاره ، يبنيها ضمن فروض خاصة ، لا يحيد عنها ، حتى اتهمه البعض ، بانها ليست سوى احجار شطرنج ، يحركها عقل ذكي ، ويا ليته يملك قلبا ذكيا ، شبيها بذلك العقل .

(البقية على ص ٤٧)

هايل عساقله

النسر

للنسر اجنحة ولي جبل
فيه احتمى الدورى والحجل
للنسر اجنحة يطوف بها
قمما ، ولى جبل به امل
للسحب امطرها على شغف
حتى يعود لرشده الثمل
ويفوح حقل لى ، يجاوره
طلل .. ومن اكبادنا الطلل

*

يا موطنى ، لا الرزء يلحق بى
ابدا .. وكم اعيت به السبل
لا الخطب ، لا علل لفارقة
فى العار ، اذ غرقت بها العلل
هذى الشواهق اضلعى سكنت
قماتها ، واستوطن الازل
للسنديان قد انتمى وطنى
ولى انتمى النسرين والغزل
كالخلد نكمل بعضنا وبنا
وطنى ، جنان الخلد تكتمل

*

مرى ، فديتك يا غمامتنا
ريانة ..مروا وكم هطلوا ؟
كم غيمة هطلت ، وموطننا
تنمو على شرفاته القبل ؟
ما البرق ؟ الا ثغر عاشقة
بالغيم والامطار تسعل
ما الرعد ؟ الا صوت ناهدة
ثارت .. وحطم قيده الخجل
ما الغيم ؟ الا صدر ناسكة
بدموعها الشطآن تغتسل
للمجد اسرى موطنى ولكم
من قبل قد أسرت له الرسل

جبل انا ؟ لا بل انا قمم
هلكت على عتباتها الحيل
قمم انا ؟ لا بل انا وطن
من طلسم شرفاته العسل
للمشترى درب لنافذتى
ياتى .. ويأتى بعده زحل
يتسامران وحول نافذتى
يتواكبون : الصيد والشهل
قالوا : الزواحف . قلت : قادمة
ليلا وعند الصبح ترتحل
لا تستطيع العيش فى وطن
نبغا به الفكر والجدل
قالوا : السماء . فقلت مزرعة
من انجم تزهو بها الحلل
ربيتها دهرا وما خدعت
ان اعتموا .. تاتى وتشتعل
قالوا : الاله . فقلت : اوجدنا
فكرا يشع بهديه الجلل
نبقى فلا السكين يفصلنا
يا موطنى يوما ولا الاجل

*

يا موطنى ما مر فى خلدى
افق .. تطوف رحابه الدول
الا وكنت تطوف منتصرا
نسرا ينوء بحمله الجبل

[من ديوان « مخالب النسر » المعد للطبع]

جبرا شنونـه

رسالة الى صديق

صديقى العزيز ..

سلامى اليك هناك ..
شوقى اليك بمنفاك ابعثه عبر هذا الفضـــاء
البعيد .. البعيد ..

اخاف اذا بحت باسمك ، او باسم منفاك
حيث الرسائل فى عصرنا يا صديقى ..
تفض بكاراتها فى البريد ..

سلامى اليك ..
من هنا .. من ازقة قريتنا .. من شوارع كنا نطوف
بها قبل عشر سنين ..

حين كنا ينابيع حب جديد ..
حين كنا هوى يتدفق ملء الشرايين ..
حين كنا خيالا جموحا يسافر خلف الجسور .. وخلف
السحاب ..

حين كنا نظن ان الزمان .. وان المكان ..
ملك يدينـا ..

هنا يا اخى تحسب الوشوشات علينا ..
يدخل العابثون المخادع .. فى غرف النوم ..
يختبئون لنا فى الفراش ..
وفى مدخل الملعب المدرسي .. وفى دفتر النسخ ..
ورق اللعب ..
فى صفحات الجرائد .. فى البيت .. فى الطرقات ..

ولكنني يا صديقي أرى انهم بائسون ..
ننام وهم لا ينامون .. يحترقون .. يخافون من كـــل
شيء ..

تجوس اناملهم فى البضائع ..
فى سلة الخضروات .. وفى شنط السيدات .. وفى
الصدر .. فى الظهر ..
بين ثنايا ملابسنا الداخلية .

صديقى العزيز ..

اجوب الشوارع فى كل يوم .. اطوف الازقة ..
كانت قديما رفوف حمام ... عذارى نقية ..
شوارعنا قبل عشر سنين ... اراها طلولا ..

ارى الدار تنعى الذين بنوها ..
واحلم انك قربي تدندن لحنا شجيا

وتهدر سيارة عسكرية ..
لتفسد هدءة منتصف الليل ..
توهج اضواءها الساطعات لتفسد طهر الظلام ..
وايار يبكى ليالى السمر ..
ليالي الحكايات والميجنا فى الدروب السخية ..

وتحسدنى يا صديقى ..
لانى هنا صامد .. وانت هناك سجين بارض العروبة..
كما يتمنى الصديق المقيد فى الاسر ..
لو عاد حرا طليقا الى السجن فى الناصرة ..

هنا بذرة الرفض فى الصدر ... تنمو
هنا وخزة الجرح فى الناصرة ..

لا فرق ان حاصرتنا خيول الغزاة ببغداد .. فى الشام ..
فى القـــاهرة ..

ولا فرق ان مات طفل بمسلخ بيروت ..
او عامل فى مصانع حلوان ..
او ثائر فىسجون الغزاة ..

ولكننا يا صديقى العزيز ..
برغم العذاب ..
نظل نحارب .. نقهر جيش الظلام ..
نلملم اشلاءنا من جديد ..
ونفتح للشمس ابوابنا من جديد
نتابع رحلتنـا السائرة

الذي رأى

بقلم : سليم فرجان

انى لارى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها

جلس الجنرال المدني على كرسيه الذهبي بعجرفة وكبرياء جوفاء محاطا بحراسه الكثيرين الذين تحلقوا حوله بدائرة مكثفة خوفا « من عصفور » قد يرفرف فوق راسه .

تطلع الجنرال المعتوه الى بلاطه الفخم ، المكتظ بالجواري والعبيد ، والجند المدججين باحدث الاسلحة ، تطلع اليهم باحتقار شديد وقال متحدثا مع نفسه :

ــ يا لهم من كلاب اذلاء .. يعلنون لي ولاءهم باستمرار .. ولكنهم في حقيقة الامر يضمرون لي حقدا دفينا وينتظرون فرصتهم للاجهاز عليّ .

وفجأة خطرت في راسه فكرة ؛ فالتفت الى رئيس مخابراته هامسا في اذنه :

ــ اريد ان تستورد لي جهازا قادرا على كشف خفايا ودواخل الناس ، والافكار التي تجري في رؤوسهم بخفاء .. اني لا استطيع بعد الان ان اقتنع بمجرد ولاء علني .. انما اريد ان اعرف من الذي يحبني فعلا ، ويكرهني فعلا في هذه البلاد .

اجابه رئيس المخابرات بصوت مخنوق :

ــ عفوا يا سيدي .. اني لا اظن انه يوجد جهاز من هذا القبيل .

ساله الجنرال المعتوه حانقا :

ــ لماذا ؟ .. وعلى اي شيء تستند بعدم ظنك هذا ؟

ــ لاننا لم نترك جهازا حديثا الا واستوردناه ابتداءا من الاجهزة التي ترغم المشاغبين على الاعتراف ، وانتهاء بجهاز الكومبيوتر .

قال له الجنرال المعتوه بلهجه آمرة وعنيفة ؛ وقد اصبح وجهه اكثر اكفهرارا ووحشية :

ــ ومع ذلك حاول ان تتصل باصدقائنا في امريكا او المانيا الغربية للحصول على مثل هذا الجهاز .. وحتى اذا كان الجهاز المذكور غير موجود فحاول ان تتصل بالخبراء في هذا المجال ليصنعوا لنا خصيصا هذا الجهاز .. وبالطبع نحن مستعدون لدفع اي ثمن يطلبونه ؛ حتى اذا كان الثمن باهظا جدا .

همهم رئيس المخابرات باذعان :

ــ امرك يا سيدي .

وفجأة شعر الجنرال باختناق شديد في داخله ، كأن عاصفة من الرمال تدفقت الى اعماقه ... انه ذلك الكلب المسعور الذي ينتفض بين



(البقية على ص ٤٤)

قصة قصيرة

دائرة الرعب

بقلم : مهدي قاسم

تتلاحق المساءات وراء بعضها ، في هذه الساعة تبدو الشوارع اوسع من اي وقت آخر ، كنت اشعر بنفسي سائبا ، ينقصني شيء اعرفه ولا اعرفه ، احيانا تتقاذفني الطرقات كالحلم ، لا اعرف مستقرا ، وكأني ابحث عن ذاكرة مفقودة .

اسمي عادل عبد الرزاق ، اعمل منذ سبع سنوات معلما للتاريخ في مدرسة ابتدائية . انا اعزب ، ابعث لعائلتي جزءا من مرتبي والباقي يأكله المطاعم وفنادق الدرجة الرابعة .

لم يكن بمقدور شخص مثلي ، الا ان تكون له طموحات كبيرة يظنها البعض بلا اساس في الواقع ، ولهذا يفاجئني مجيئهم كثيرا .

كانوا ثلاثة رجال يتقدمهم مدير المدرسة ، دخلوا الصف بدون استئذان ، وقال المدير بلهجة حاول جاهدا ان تكون طبيعية :

ـ لقد نصحتك بما فيه الكفاية !!

لم اجد ما اقوله ، وشعرت ، حين خرجت بعيون التلاميذ تلاحقني بخوف واتهام . تضايقت محاولا تحاشيها ، وآلمني ذلك فيما بعد .

مرت خمس ليال وانا لا اشعر بغير صمت الجدار وسباب الحارس ، وفي الليلة الثالثة اخذوني للتحقيق . كان خلف المكتب رجل انيق ، تبدو عليه علائم الصحة والاهتمام بالنفس ، غير ان شيئا فيه ، لعلها نظاراته السوداء كانت تجعله غير اليف ..

بدأ حديثه هادئا ، واثقا بعمله :

ـ استاذ عادل . انت رجل مثقف ولا اعتقد ان التفاهم سيصعب معك .. !

لعله الخوف والارتباك ، ولعله تعبي الشديد ، ما جعلني صامتا .. اعاد ما قاله بصيغة اخرى ، وعرفت هذه المرة ان ما يهدد اشيائي الجميلة .. هو الذي كان يصنع لي الصمت موقفا .

تكلم طويلا وبلهجة جادة ، تناولني وآخرون بالسباب وقال بانه يعرف عني كل شيء . ثم عاد لهدوئه ، وتكلم ايضا ، كنت ساهما ، والحظ شفاهه تتحرك وكنت بدوري اسأل نفسي :

ـ « ما الذي يربطني بهذا الكائن وهذا المكان » .. !

ـ « لماذا » وكانت كبيرة ، واسعة تستوعب آلافا من الجمل التي تأتي بعدها .

ـ « لعل له ابنا بين تلاميذي ! » .

واحسست بشوق الى المدرسة والى ذلك التلميذ الذي سألني يوما عن « وثبة كانون » * ، ولأمي التي تنتظر رواتبي في العطلة الصيفية قربنا ، والعيون والاسماء ، والارقام والمقاعد والتواريخ ، ولحنيني لهم جميعا ، وكنت بحاجة ماسة للنوم . انتبهت لصيحة الرجل ذي النظارات السوداء ، ولاحظت للمرة الاولى بأن رقبته محروقة من جهتها اليمنى .

اخرجوني من الغرفة الانيقة . ولجت ابوابا خشبية عتيقة ، واخرى من المعدن الصدىء . ادخلوني غرفا قميئة ، خفيضة السقف ، داكنة الجدران ، ملطخة بالدماء والحروف .

ضربوني بشدة ، وشاهدت نفسي انزف . ركلوني . وقعت على الارض . انهضوني . دفعوني ثانية . تدحرجت على سلالم لم المحها وشعرت بانني اهوي في بحر بلا قرار ، وكنت انزف ودمائي تسيل .

شاهدت نفسي داخل قفص في حديقة الحيوان ، والناس من حولي يتفرجون على ضاحكين ، ما كانوا يستغربون ولا يستهجنون رؤيتي في هذا المكان . صرخت فيهم « انا انسان » . ولم اكن اسمع صوتا وهم ايضا ما كانوا يسمعونني ، ولا يبالون بي . وشاهدت امي بعباءتها السمراء تمسك بيد ذلك التلميذ ، متلويين تحت الشمس ، يبكيان . حاولت ان اناديهما من بين القضبان ، وكانت الدماء قد سدت انفي ، وتخثرت داخل فمي وحنجرتي ، ومع ذلك خرجت صيحة قوية مدوية ، ونهضت من

(البقية على ص ٢٩)

* اشارة الى الانتفاضة الثورية التي عصفت بالعراق ايام الطغمة الهاشمية في العام ١٩٤٨ وادت الى احباط معاهدة بورتسموث التي ارادت بريطانيا تكبيل العراق بها .

ماما • قطرة ماء

الكاتب روبين زارتاريان

ترجمة : لوس قصابيان ـ دمشق

ـ ماما انا عطشان ! قطرة ماء .. !

ـ انتظر قليلا يا ولدي ! مضى الكثير ولم يبق الا القليل ويشرق الصباح !

لكن الصباح لا يشرق ، لان ليل الشتاء الطويل لا يشرق . فى الخارج ، كانت الرياح تعصف بشدة ، والقرية غارقة تحت الثلج . لم تعد تستطيع التنفس فى تلك الساعة المتاخرة من الليل .

كانت الجدة قد قررت صيام خمسة ايام اكراما لعيد القديس سركيس .

لقد غار العالم فى هذين القلبين الوحيدين ، بعد أن تيتم هذا الولد الصغير الذي كان آخر عزيز لتلك المرأة العجوز .

لم يعد معهما من احد فى ذلك البيت المتواضع ، سوى بضع دجاجات وصيصان وقطة صغيرة . هذا الجمع الغريب كان مجمل سكان البيت .

جلست الجدة ، قبل حلول ايام الصيام ، تقص على حفيدها قصة ذلك القديس البطل ، وتشرع فى وصف مشوق لوسامته المشرقة ، ودقائق جواده ناصع البياض ، الذي كان ابدا ممتطيا صهوته متقلدا سيفه . وكم من مرة انقذ المسافرين الذين انقطعوا عن العالم فى الجبال ، لشدة العواصف والثلوج . وكيف اهلك وشتت جمع اولئك الذين افطروا ايام الصوم ..

آلاف من العجائب والخوارق والقصص ...

تعزمت الجدة وحفيدها الصيام وقاما بذلك الواجب .

اعتادت العجوز تاديه تلك الفريضه منذ سنين عديده . فباتت تعرف حق المعرفة مرارة الصبر وقساوة العطش والنار التي تلهب الجوف ، لكن الطفل الصغير الذي لا يكاد يبلغ من العمر سبع سنين ، كان يجهل ذلك .

فى الايام الثلاثه الاولى ، لم يحن الطفل الى كسرة الخبز الطازجه التي وضعها فى صداره . فلقد كان الواجب يقضي بان يضع الصائم كسرة خبز طازج فى صداره كي تكون رائحتها على مقربة من انفه وفمه . والمؤمن : من يصبر على رائحة الخبز الشهية خمسة ايام دون اكل او شرب ، ودون ان يدخل تجربة التفكير بذلك .

لم يكن يتالم لجوعه بقدر تالمه لعطشه . ولطالما حلم حين كان ياوي الى فراشه ويضع راسه على وسادته ، انه الى جانب نبع مياه عذبة او ساقية رقراقة ، وكلما انحنى ليشرب منها ، استحالت ثعبانا ابيض ينسل مختفيا بين الحشائش الخضر . ويستيقظ الطفل مذعورا ، فيروي لجدته حلمه العجيب . فتداعبه وتقبله ، وتبث فيه روح الشجاعة والصبر وقوة الارادة ، ليؤمن ان القديس سركيس الى جانبه دواما ، وانه انما يمتحنه بحلمه هذا ليمنع ابليس من الاقتراب منه ويجنبه التورط فى تجربة الافطار . ومرة ثانية ، يعود الطفل للنوم ، ولكن ما ان يغمض عينيه حتى يحلم الحلم ذاته ، النبع الغزير والم العطش . يقلق . يؤرقه الحلم والعطش ، وتظل عيناه مسمرتين على النافذة تنتظران انبلاج الصبح ، يتاخر الصباح ويمتد الليل اكثر فاكثر . لم يكن يسمع سوى صوت العاصفة الهوجاء التي كانت تقرع الباب والنوافذ المكسورة ، التي تحميها الاوراق المهترئة من المطر .

ارعدت السماء . دب الخوف فى قلب الطفل الصغير ، ففتح عينيه من الهلع .

واستيقظت الجدة لتدخل فى روعه ان القديس سركيس رابض على صهوة جواده فوق سطح البيت يحرسهم ، ولسوف يغضب على الذين لا يصبرون على العطش .

كان القديس سركيس طيب الوعود مبرا لها ، وكانت الهدية التي سيقدمها للطفل فى الصباح اطيب بكثير . لكن جوف الصغير يلتهب عطشا وفمه يجف من اللعاب وحلقه ينقبض .

آه ... سيكون القديس سركيس وجدته كذلك اكثر طيبا لو سقياه قطرة ماء يبل بها لسانه .

كانت ليلة الجمعة ، وكم طالت ! .

لقد صارت سنة كاملة .

نام الدجاج وغط في نوم عميق . اما جفون الطفل فما اطبقت ابدا . كان يلتهب ظما . تحرك قليلا وقال :

ــ ماما ! انا قربانك ! قطرة ماء .. انني اموت ! سأسلم روحي ! .

ــ اصبر يا ولدي اصبر ! القديس سركيس واقف خلف الباب بانتظار الشروق، وحينئذ سيدخل وسيجلب لك هدايا ! هدايا جميلة ! راح الكثير وبقي القليل !

لم يعد يحتمل الصبر . غارت عيونه في ظلام ابدي . بالكاد يتحرك لسانه :

ــ ماما قربانك اصبر ! قطرة ماء على لساني ! .

وراح في بكاء مر . كان نحيبا يخرج من الاعماق ، ويختفي متلاشيا في الهواء من شدة الالم . دس راسه الصغير تحت اللحاف خوفا من العاصفة ومن قدوم القديس سركيس .

لم تصغ الجدة لهذه التوسلات .. راحت تغني له اغنيتها المالوفة لديه عله ينام :

ــ نام يا حبيبي نام ! .. لذبح لك طير الحمام ...

اخرج الطفل راسه من تحت اللحاف ، ومد يديه فوقه . لم يعد يسمع صوت للطفل . جمد . ارتاح للابد ونسي قطرة الماء . لقد ارتوى عطشا .

صاح الديك .. دق جرس الكنيسة معلنا صلاة الصبح لاهل القرية .

ــ قم يا ولدي ! انهض ! كفى نوما ! انهض لترى ماذا جلب لك القديس سركيس ! لقد جلب لك زبيبا طيبا وعقودا ، وخفين احمرين جميلين . انهض يا ولدي الحبيب ! هيا ! حسنا الن تنهض لنذهب الى الكنيسة معا ؟ !

ظل الطفل جامدا بلا حراك . لقد زعل من جدته ومن القديس سركيس معا . ماذا سيفعل بالخفين والحلوى والزبيب ؟ كل ما كان يطلبه ، قطرة ماء .

كم كانت جدته قاسية تلك الليلة ! والقديس سركيس ! آه ... انه قاس ايضا . يا للقلوب القاسية !

دائرة الرعب ــ بقية

الكابوس .

لم استطع الحراك . ولم اعرف كم مضت من الساعات او السنوات وانا ملقى كالخرقة ، لا يعرف لي مصير . كنت يابسا وضعيفا وكئيبا كغصن بلا ماء. عيناي فقط تتحركان وبصعوبة .

كان المكان اشبه بقبو مهمل ، وكنت اشم روائح كريهة فشعرت بالدوار وبوجود اخرين معي في المكان ..

جاءوا مرة اخرى ، وحدست بان الوقت ليل . حملوني وكنت اسمع همساتهم . داروا بي في القبو ، واخذوني لزاوية مظلمة . رأيت اشلاء انسان ، احدهم مسك شعره ، ورفع راسه ، والاخر لطمني وقال :

ــ هل تعرفه

ــ ....

ركلني بمرفق قدمه ، فقلت :

ــ لا

ــ اذن ، ابصق في وجهه !

ــ ....

ــ ابصق !!

ــ ....

ــ انبح كالكلب !!

شعرت بضربة في مؤخرة راسي ، واغمي علي .

حين نهضت ثانية، وجدت نفسي في الغرفة الانيقة ، يحيط بي رجال انيقون ، وشاهدت ذات الرجل ، يمد لي علبة سجائر اجنبية ، ويعرض علي استمارة فيهاتوقيعي ، وحدثني بلطف مصطنع .

خرجت وراسي تطن فيه مئات الكلمات والاسئلة ، وشعرت به مارقا ثقيلا اثقل من ان يحمله جسدي الضامر . تراقصت امامي نفسي في الفندق .

اما الان ، فما زلت ارى واسمع واتحسس ، احزن وادخن كثيرا ، غير اني لا استطيع النوم ولا التمرد على منهج التاريخ المقرر في المدرسة . اسمع من يقول اني مت هناك ، الا ان القاص هو الشاهد الوحيد الذي ما زال حيا ، وهو حتما سيخشى على اسمه الصريح ، ولكن سيدلي بشهادته .

عائلة شيبالكوف ــ بقية

ورجلاي تلتويان تحت جسدي .. وابني بين يدي عاريا يكاد يسقط من بين يدي .

مشاق كثيرة عبرت وإياه .. وكنت طول الوقت افكر : « لينم ويترعرع .. ويواصل مسيرة والده .. الابن سيدافع عن السلطة السوفييتية .. وسيحمل كل ميراث يعقوب شيبالوك اذا مت .. فسيواصل النهج » . في البداية ذرفت دموعا غزيرة .. فحين ولدت احدى خيولنا قتلنا المولود واسقيناه حليب الوالدة .. وخطت له ثيابا من ملابسي التي يخرج منها الان ..

هل تقدرين الان ، ايتها المواطنة ، على فهم ما يعنيه هذا الطفل ؟ ! اتوافقين على قبوله ؟! شكرا .. الى اللقاء يا ولدي يا عائلة شيبالوك .. انم وترعرع .. آه يا ابن الكلب : لماذا تشد بلحية والدك .. لا تقلقي .. لن يصرخ .. انه من العائلة البلشفية .. ولكنه سيعض .. اذا ضربته لن تذرف له دمعة .

[الترجمة خاصة بـ « الجديد »]

الحلقة الرابعة (١)

ناجي ظاهر والبحث عن الذات

بقلم : فاروق مواسى ـ باقة الغربية

انا لست قاتلا / لست قتيلا
اتيت من المدن البعيدة وحدي
وصلت قبيل وصول الصباح
سالت اهل المدينة
اين اجد البيت ياويني
لم ينظروا نحوي

ـ يبدو لي من هذا التقديم (٢) ان الشاعر يعانى الوحدة فهو اذ يسال :

اين اجد البيت ياويني (البحث ص ١٠) .

يعود في القصيدة نفسها ويقول :

ولا تذكريني لاهلي ـ اذا سالوا
ان بيتي هناك بعيدا (البحث ص ١١)

ثم يقول :

اني أسال عن بيت ، عن ذكرى (الزهرة ص ٣٩)

وفي مرحلة اخرى يفقد كل شيء الا الذكرى

لا املك الا آلام الذكرى (قصائد ص ٥٢) .

ـ نعم والصورتان تؤديان معنى الوحدة والعزلة ، وقد لاحظت ان اجواء الشاعر تتباين احيانا . ففي حين يتفاءل :

تتألق بعد هبوب الظلمة
اجفان الزهر اليابس (قصائد ص ٥٣)

يعود الشاعر الى الزهر اليابس ويتشاءم :

تسقط زهرتك اليابسة (الزهرة ص ٨)

ـ لاحظت ان صفة اليبوس التصقت بالزهرة كما ان لفظة « الراقدة » تلتصق بـ « العتمة » و « الشجر » وكأنها جزء لا يتجزأ من تلموس الشاعر :

او فانتظر الشجر الراقد في العتمة (قصائد ١١)

احببتك حب الشجر الراقد في العتمة (البحث ٨٠)
اتحسس بين الشجر الراقد في العتمة (البحث ١٤)
وحين لقيت عتمة قلت ارقد فيها (البحث ٧)

ـ وما رايك في رمز الشجرة ؟

ـ الشجر والغابة والحلم والليل والجدران والوجد والصمت والبيت مفردات تتردد عند الشاعر ، ولو رسم مدلولاتها رسام لاخرج لوحة هادئة وخاصة اذا جعل الالوان والخطوط غير نافرة ولا مستفزة .

فالشجرة جزء من جمالية الصورة اولا ، تضفي رهبة معينة ، فيها نزوع الى السمو وفيها ارتباط بالارض ، فيها رواء وفيها ثمر وباختصار هى رمز للعطاء (٣) .

اما رمز الغابة عند الشاعر ففيه ضياع وفيه الامل ، وخاصة اذا كان ثمة بيت متعزل يلجا اليه الشاعر :

ارسم اشكالا اخرى للجدران
للبيت القائم في تلك الغابة
والمتوحد في ذاك الظل (الزهرة ١٨)

من يعلم شيئا عنك
اعطيه الشجر
وشكل البيت المتوحد
أعطيه الغابة (الزهرة ٢٧)

البيت يرمز الى نقاوة الشاعر وعمقه ، هو بعيد عن الايدى والعيون ، شبيه بالبرج العاجى لكن فيه تواضع .

ـ الا يدل ذلك على اغتراب او استلاب ؟

ـ بلى ، ولنقرا معا كيف ان الشاعر يشعر بالغربة

انت تجولت بشارع غربتك طويلا وتمزقت طويلا وحلمت بكسرة خبز لا ياخذها منك الغربـاء ، ادرت مفاتيح المذياع ، تسللت الى كل شوارع هذى البلدة تبحث عن دفء يوقظ فيك الاحساس بانك رجل تتمناه امراة ، الكنك حين تواجدت بجانب حجر يستلقي في الضوء ، ترامبت .. (قصائد ص ١٥) .

بل ولنقرا رسالة شخصية بعث بها الشاعر الى ومن حق القارىء ان يطلع عليها :

« وانت لو حاولت ان تتلمس الجذور الاجتماعية لشعري او لما اكتب من شعر ، للاحظت انها تتشكل في نهاية امرها بدوافع اغترابية . ان الحب كموضوع يسيطر على ما اكتب من شعر يعتبر الى حد بعيـد بمثابة الرد او حتى التاكيد على وجود الرفض ، هذا الاغتراب الروحي الذي اعيشه ويعيشه معي ابنـاء جيلي ولعل هذا يجعلني استشهد بقول هورسـت ردبكر : « ان الفن الواقعي تعبير ووسيلـة نشـاط وتاكيد للفرد ككائن اجتماعي » .

ــ ما قراته جميل ولكن الشاعر في « الحب » لـه اكثر من موقف . فهو يقول :

أيبحث عن حب اعظم ،
عن فن (الزهرة ٣٩)

ويعود ليقول :

اسال عن موت
عشش في راسي
عن حب رمزي دمر احساسي
اقصاني عن كل الناس (الزهرة)

ويكون الحب جنسيا في كثير من الصور نقتطف منها :

اني احببتك فتعالي في منتصف الليل
يطيب لقانـا (البحث ٥٦)

ويكون الحب رمزا لقضية نذكر من ذلك :

جلست عند المدفاة وقالت
كيف يكون الدمع حبيس العين
اذا ما سقط حبيبي (الزهرة ٩)

ويكون الحب وجوديا صوفيا ردا على الاغتراب كما ذكر الشاعر في رسالته :

هذا حبي جاء وجاء
وامتلأ الكون غناء (قصائد ١٩)

ــ نعم ، فليس الحب هنا واحدا ، مع انه يندغم في دائرة متسعة الحلقات .

التـأدنس

ــ احس كأن ناجي متاثر باجواء ادونيس الشاعـر السوري المجدد فهل ترى هذا الراى ؟

ــ اولا لا يعيب الشاعر ان يتاثر باجواء شاعر ولا سيما اذا كان شاعرا مبرزا كأدونيس فاذا « تأدنس » صاحبنا فما عليه باس وخاصة اذا لم ينقل لنا صوره نقلا . اما اذا افاد من تعابيره افادة عابرة ونقل لنـا ملامح واجواء وسبح في فلكه فلا جناح عليه . فادونيس يكتب قصيدتين متتاليتين لدمشق وبيروت (٤) وناجـي يكتب للمدينتين قصيدتين متتاليتين (البحث ص ٢٤ - ٢٦) .

والقصيدة عند ناجي بمدالیلها مختلفة مع ان النفس الشعرى مشابه لنفس ادونيس :

ادونيس : **دمشق**
الجسد العاشق في سريره
كالقوس والهـلال
....
والشجر النائم حول غرفتي
ووجهى تفاحة
وحبى وسادة جزيرة .

ناجي : **يصبح الصائح هذى دمشق**
وهذى المغائر في جوفها
وهذا حصان الهوا يسترد غرامه

يلاحظ القارىء انه ليس هناك تطابق وانمـا تنتزع الصور من مقلع واحد . وناجي له قصائد حلم (قصائد ص ٣ وما بعدها) وادونيس له قصائد حلم (٥) بل ولفظة حلم والفاظ اخرى ، كالخاصرة ، الشجرة ، الظل ، الطير ، النهر ، تتردد عند الشاعرين بصورة ملموسة .

ــ ارجو ان تقرا ادونيس وليكن الامر اتفاقا :

وصعق الشجر
حزنا على الطيور الاسيرة
في الجانب الاخر من خاصرة النهر (٦)

ويقول ادونيس :

تكبرين في الجهات كلها
تكبرين في اتجاه الاعماق
تنفتحين لى كالنبع
وتستسلمين كالشجرة
وانا كنت عالقا بابراج الحلم
ارسم حولها اشكالي
ابتكر اسرارا املأ بها ثقوب الايام (٧)

ــ لاحظت ان الالفاظ متقاربة جدا بل وقول ادونيس « ارسم حولها اشكالى » قاله ناجي اكثر من مرة وعلى سبيل المثال :

ارسم اشكالا اخرى (الزهرة ، ١٨)

بل ان الروح الصوفية عند ادونيس والتى تظهر في اكثر قصائده تجدها عند ناجي

وانا النقة اذ تحلم بالحب

باشجار الصنوبر
وانا المحبوب ياتى (قصائد ٢٤)

و

ناشدتك ان يبعث محبونى
فى كل مكان من جسدى (البحث ص ٨٢)

و

نحن المعرفة ونحن الشوق
ونحن الشارع مهجورا
نحن العشاق (البحث ص ٤٦)

فحتى عنوان « البحث عن الزمن » فيه اثر من افكار ادونيس :

فادونيس يرى ان الشعر الحديث يتخلى عن اغلال الزمن — الحادثة الواقعية والافكار المسبقة فهو ليس انعكاسا لشيء ما بل نتحا وكشفا لعو الجديدة (٨).

يقول ناجي فى رسالة الى :

« وكم احب ان اتحدث عن ادخال الابعاد الصوتية فى عالم القصيدة ثم عن التجارب الحركية» وهذه التعابير كانها مقتطعة من مقالة كتبتها خالدة سعيد ضمنت فى كتاب « البحث عن الجذور » :

« النقد يدرس دلالات الكلمات واقترانها ويبين اتجاه حركات القصيدة ويسمى اصواتها ويوضح علاقة هذه الاصوات ببعضها ويشير الى ابعادها » (٩) . ونحن نعلم ان خالدة سعيد هي زوج ادونيس ومفاهيمهما متقاربة ان لم تكن متطابقة .

واذا كان ادونيس قد اشار الى عبد الرحمن الداخل (١٠) و مهيار (١١) فان شاعرنا فطن الى ذلك :

بكى مهيار
فبكت فينا الاشياء
ومضينــا
يا عبد الرحمن الداخل : ان العتمة
فى الضفة تقتلع الاشجار ، يا عبد الرحمن اغثنا
لكن الشاطىء اقصانا عن عبد الرحمن
(البحث ص ٧٥)

ومع ذلك فناجي لم يستعمل الرموز والاسطورة كما وردت عند ادونيس وخاصة فينيق بروميثيوس ، اوليس ، اورفيوس ، المسيح ، العنقاء ، والخضر وغيرها .

ونلمس الصيغة الادونيسية فى طرح الاسئلة مما يقدم الجو نفسه :

ادونيس :

من يريد طريقا من البرق ، من منكم الرفيق
حان ميعادنا
من يلم البقول
من يهز الغصون الخفيه

ويسأل ناجي :

من ياتى
فى هذا الليل
يسقط فى وهم الابداع
من يتوهج فوق صخور الشاطىء
من يصرخ فى هذا الصمت
يبعث فى الانحاء الدهشه
ويكون الشعر .

ولست محتاجا بعد لاثبات التادنس عند الشاعر وحومانه فى فلكه واؤكد هنا ان التاثير ايجابى يحافظ الشاعر فيه على شخصيته وعلى بحثه عن ذاته .

— وكيف يتجسد هذا البحث ؟

— انه يتجسد فى التواصل بين الاب والابن

اواه على بابنا ضاع — يابا — العمر (١٣)
(البحث ص ٦٠)

يحرقنى الشوق الى طفل يولد من صلبى
يحمل اسمى ويغنى اغنيتى (قصائد ٦٧)

ويتجسد كذلك فى الحب بمعانيه المختلفة كما ويتجسد فى بحثه عن زمن اخر وعن تعاطفه وابى حيان التوحيدى .

---

١ — نشرت « الجديد » المونولوجات الثلاثة الاولى فى الاعداد ٦ ، ٧ ، ١٩٧٨/٨ .

٢ — ناجي ظاهر ، «البحث عن زمن اخر» — منشورات الاسوار — ١٩٧٨ ، ص ٦ وسنشير من الان (البحث) . وستكون الدراسة على الكتابين الاخرين للشاعر « قصائد الى ابى حيان التوحيدى » ، اصدار الشرق — حيفا — ١٩٧٩ وسنشير (قصائد) و « الزهرة اليابسة » ، دار المشرق ، شفاعمرو — ١٩٨٠ وسنشير (الزهرة).

٣ — رمز الشجرة عند ادونيس يدل على التحول والهجرة ، التحول من الماضى الى المستقبل فالشجر « جالس فى الضوء فى فلسطين » . والضوء هنا رمز للحقيقة ، وفلسطين هى الحقيقة التى ننتظر ان ننقلنا من الزيف الذى نحياه .

انظر عن رمز الشجرة عند ادونيس كتاب الدكتور احمد ساعى — حركة الشعر الحديث ، دار المامون للتراث — ١٩٧٨ ص ١٣٦ وما بعدها .

٤ — انظر المجموعة الكاملة لشعر ادونيس ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

٥ — ن.م ص ٥٥٥ وما بعدها .

٦ — ن.م ص ٣١١ .

٧ — ن.م ص ١١٨ .

٨ — انظر غالى شكرى : شعرنا الحديث الى اين ، دار المعارف بمصر ص ١١٠ .

٩ — خالدة سعيد . البحث عن الجذور ، اصدار مجلة شعر ص ١٤ .

١٠ — المجموعة الكاملة ج ٢ ص ٤٣ .

١١ — المجموعة الكاملة ج ١ ص ٣٢٧ .

١٢ — المجموعة الكاملة ج ٢ ص ٧٧ .

١٣ — انظر الروعة فى قوله (يابا) بالعامية .

اصحاب المهن

في كتب الأدب

بقلم : حبيب بولس ـ كفر ياسيف

★ مقدمة : اتحفنا الاستاذ حبيب بولس بهذا المقال الاصيل الذى لا يحتاج الى تقديم .. وملاحظتنا الوحيدة ان الكاتب اعاد احتقار الطبقات العليا للطبقات الدنيا ـ فى بعض الحالات لا كلها ـ الى الجاهلية او الى الحياة الحضرية الجديدة ومفاهيمها .. ونحن نعتقد ان هذا الاحتقار يعود الى المفاهيم الطبقية .. وهذا ما يثبته الكاتب نفسه فى حالات عديدة ، وفى رأينا انه ينسحب على الحالات جميعها .. ★

■ لقد كتب فى ادبنا العربى القديم سلسلة من المؤلفات ـ منها الرسائل والاشعار والقطع والكتب ـ تدور حول اصحاب المهن فى الاسلام . ومعظم ما كتب هو عبارة عن روايات على لسان اصحاب المهن ، واحيانا روايات من اخرين عليهم (١) . وهذه الروايات كانت تقص بحضور الكاتب او بحضور جمهور القراء ، واحيانا جمهور السامعين ، لان معظمهـا يروى شفاها على مسمع من كثيرين فى بلاط الملوك والامراء ، او فى اماكن اخرى .

لقد تطورت هذه القصص اكثر فيما بعد لدرجة انها ضمت السامعين وادخلتهم داخل اطار القصة نفسها . كان الضم يقع صدفة وذلك بتغيير خلفية هذه القصص وادخال شخصية الخليفة هارون الرشيد لهذه الخلفية . هذا الادخال كان سلبيا فى البداية ثم تحول الى المشاركة الفعالة فيما بعد (٢) .

■ لقد كان الهدف من كل هذا اللون من الوان القصص النماذج (غير الفنى) ، اضحاك السامعين ، وهذا الضحك كان يتم نتيجة اختلافات واضحة بين مستويات معينة .

١ ـ بواسطة عدم الملاءمة بين عناصر معينة ، اى بواسطة مزج عنصرين دون ملاءمة منطقية بينهما ، بحيث اننا نتوقع فى القصة احيانا سلسلة جمل منطقية ، واذا بالكاتب وفجاة يدخل سلسلة جمل اخرى بعيدة عن المنطق كليا ، ولا يمكن ملاءمتها مع سابقيها .

٢ ـ بواسطة القيام بانسجام بين مستويين ، لاسباب تتعلق بالقبول عند القراء فى العصر العباسى وما بعده ، كانسجام جيد ولاسباب متعلقة بعلاج مثل هذه الامور ، فترتبط هذه العناصر مختلفة الخلفية وذات المستويات المختلفة فى قطعة ادبية هى عبارة عن اسلوب ادبى جميل ، واحيانا رفيع اما شعرا او نثرا .

ولا عجب ، اذا ما راينا ان ما يخلق روح الفكاهة فى ادب كهذا هو اختلاف الطبقات الاجتماعية فى تلك العصور ، فبواسطة ايراد شخصية من مستوى عال من المستويات الاجتماعية المتعارف عليها انذاك مع شخصية اقل منها درجة وربما شخصية من فئات محتقرة اسلاميا واجتماعيا ينتج عندنا ما يضحك جمهور القراء او السامعين .

واحيانا نجد ان اختيار الكاتب لمستوى ادبى معين ومزجه فى مستوى ادبى محتقر يستخدمه رجال الادب واللغة يخلق ايضا طرفا مضحكة ، كمزج الشعر العربى الكلاسيكى الارستقراطى مع لغة المحدثين فى العصر العباسى ، او كمزج اللغة العربية الفصيحة مع لغة اعجمية ، سواء اكان هذا المزج شعرا ام نثرا .

■ ان ما نود القيام به فى هذا المقال المتواضع هو فحص هذه النماذج حسب ما اوردنا ، وتحليل العناصر التى من الممكن ان تؤدى بالتالى الى اضحاك جمهور القراء ، وهذه العناصر التي تولد الضحك ـ كما اوردناها سابقا ـ تقوم على عنصر التضاد ، تضاد اجتماعى ، او لغوى ، او ادبى .

★

ان اول من برع فى هذا اللون كان الجاحظ ـ شيخ النثر الفنى عند العرب اطلاقا ـ فى رسالته عن اصحاب المهن (٣) ، ولكن اتى بعده الكثير من الادباء الذين ساروا على نفس الطريق مقتفين اثره كالحصرى والنمرى ، والثعالبى (٤) .

لقد اتحفنا الجاحظ فى رسالته المذكورة ، بمجموعة من القطع الادبية رغم انه جمعها عبر مطالبته كل صاحب مهنة بقطعة شعرية غزلية يصف فيها حبه وولهه ومعاناته من هجر الحبيبة .

وماذا نقرأ بالتالى على لسان اصحاب المهن ؟ (تجدر الاشارة هنا الى ان الجاحظ نفسه هو الناظم) ، نحن نقرأ قطعة شعرية غزلية جميلة ولكن عماد وصفها يقوم على قاموس اصحاب المهن اللغوي ، بحيث ان كلا منهم استعمل كلمات تصف محبوبته وفراقها له ماخوذة من مصطلحات مهنته او من ادواته المستعملة .

وماذا يضحكنا هنا ؟

يضحكنا هذا المزج الرائع بين موضوع شعرى كلاسيكى تجله العرب وتحترمه ـ كموضوع الحب الذى وقف عليه معظم شعراء العربية ـ وبين انواع من الادوات والمواد الحياتية اليومية .

اشياء يومية ، وادوات حرفية معينة ينفر منهـا الذوق الادبى تستعمل لوصف ارفع المواضيع المتعلقة بارفع العواطف ــ الحب والفراق ــ هذا المزج الذى يبعث فينا الضحك .

امثلة على ذلك : (٥)

سئل بختيشوع * عن اشعر الشعراء فقال ، الذى يقول :

احمد قال لى ولم يدر مـا بـى
اتحب الغـداة عتبـة حقـا
فتنفست ثـم قلت نعـم حبـ
ـا جرى فى العروق عرقـا فعرقـا
لو تجسين يـا حتفية روحى
لوجدت الفـؤاد قرحا نفقـا

يعلق الثعالبى على هذا بقوله :

وانما صار عنده اشعر الناس لذكره العـروق والجس والقرح .

ويورد الثعالبى مثلا اخر ، فيقول : (٦)

وانشدنى البستى لنفسه :

ان الجهول تضرني اخــلاقه
ضرر السعال بمن بـه استسقاء

ويذكر الثعالبى ابياتا اخرى فيقول : (٧)

كما يكتسى المرء حز الثياب ومن تحتها حالة مضنيه

ويحدثنا الجاحظ فى رسالة « صناعات القواد » فيقول فى هـذا الخصوص : (٨)

وذلك انى لقيت جزاما ــ وهو صاحب خيل ــ حين قدم امير المؤمنين من بلاد الروم ، فسالته عـن الحرب كيف كانت هناك ؟ فقال : لقيناهم فى مقـدار صحن الاصطبل ، فما كان بقدر يحس الرجل دابتـه حتى تركناهم فى اضيق ممرغة . وقتلناهم فجعلناهـم كانهم اثابير سرجين *

فلو طرحت روثة ما سقطت الا على ذنب دابة وعلى ابياتا فى الغزل فكانت :

ان يهدم الصد من جسمي معالفـه
فان قلبـى بقت الوجد معمـور
انى امرؤ فى وثاق الحب يكبحـه
لجـام هجـر على الارقـام معذور
علل بجل نبيل من وصالـك او
حس الرقاد فان النوم مأسـور

اصاب حبل شكال الوصل حين بـدا
ومبضع الصد فى كفيه مشهـور
لبست برقـع هجـر بعـد ذلك فى
اصطبل ود فروث الحـب منثور *

ويورد الجاحظ فى رسالته المذكورة ابياتا على نفس المنـوال السابق لمعظم المهن ، وهى على الترتيب لـ : ١ ــ بختيشوع الطبيب ٢ ــ جعفر الخياط ٣ ــ اسحاق بن ابراهيم الزراع ٤ ــ فـرج الرخجى الخباز ٥ ــ عبد الله بن ابى داود المؤدب ٦ ــ على بن الجهم بن يزيد ــ صاحب حمام ٧ ــ الحسن بن ابي قماشة او قماش الكناس ٨ ــ احمد الشرابي ٩ ــ عبد الله بن طاهر الطباخ ١٠ ــ محمد ابن داود الطوسى الفراش .

ونكتفى هنا ، لضيق المجال ، بايراد ما قاله الجاحظ علـى لسان عبد الله بن طاهر الطباخ (٩) ، لما فيه الكثير من الروعـة الادبية والفائدة التى تعود على الموضوع الذى نحن بصدده .

قال : وسألت عبد الله بن طاهر عن مثل ذلك ــ وكان طباخا ــ فقال : لقيناهم فى مقدار صحن المطبخ ، فما كان بقدر ما يشوي الرجل حملا حتى تركناهم فى اضيق من موقد النار ، فقتلناهم ، فلو سقطت مغرفة ما وقعت الا فى قدر . وعمل ابياتا فى الغزل فكانت :

يـا شبيه الفالوذ فى حمرة الخـد
د ولوزينـج النفوس الظمـاء
انت جوزينـج القلوب وفى الليـ
ن كلين الخبيصـة البيضـاء
عـدت مستهتـرا بسكبـاج ود
بعـد جوذابـه بجنب شـواء
يا نسيـم القـدور فى يـوم عرس
وشبيهـا بشهـدة صفـراء
انت اشهـر الى القلوب من الزبـ
ـد مع النرسيـان بعـد الغـداء
اطعم الحـاسدون الـوان غـم
فى قصـاع الاحـزان والادواء
قـد غلا القلب مذ نات عنك داري
غليـان القـدور عنـد الصـلاء
هـام قلبـى لمـا كسـرن غضارا
ت سروري مفـارف السحنـاء
فتفضـل عـلى الكئيب بزمـا
ورد وصـل يشفـى من الادواء *

---

* هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع من الاطباء المشهوريـن . وكان سريانيا نبيل القدر ، وكان يضاهى المتوكل فى اللباس والفرش ، وكان عظيم المنزلة عنده ، ثم انه افرط فى ادلاله عليه فنكبه . وكان موته سنة ٢٥٦ هـ .

* الاثابير : الاكداس ، جمع اثبار ، وهذه جمع ثبر بالكسر .

* القت : الفصفصة ، وهى من علف الدواب .

عذر الدابة عذرا : اشد عليها العذار ، وهي السير الذي يكون عليه اللجام .

المأسور : المشدود بالاسار ، وهو الحبل .

الشكال : ما تشد به قوائم الدابه .

* السكباج : لحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف اليه احيانـا الزعفران .

الجوذاب : بالضم : طعام يتخذ من سكر ولحم ورز .

النرسيان : ضرب من أجود التمر . (انظر الى باقى صفات

ما يضحكنا هنا هو المزج بين موضوع شعري تقليدي كالغزل ، وبين التشابيه التي يستقيها الناظم عن واقعه المعاش .

فهنا مثلا الاطباء يصفون حالتهم وحالة فؤادهم بسبب الام الحب كالقرح المتقوء . او يصفون اشياء اخرى بمصطلحات مهنتهم كما نجد في القطعة الثانية والثالثة كالورم في الرية والسعال لمن يوجد عنده مرض الاستسقاء . كما ونجد عند الجاحظ روعة في الوصف خاصة ما جاء في المثل المتقدم على لسان حزام — صاحب الخيل — او على لسان عبد الله بن طاهر الطباخ بحيث يستقي كل منهما تشبيهاته من مهنته وخلفيتها العملية . ومن الجدير ذكره ان ابا منصور الثعالبي في كتابه « خاص الخاص » يسرق كثيرا عن الجاحظ وللتأكد من ذلك ما علينا الا ان نقوم بمقارنة بسيطة بين الكتابين خاصة بمقارنة فصل في اصحاب المهن عند الثعالبي ص ٦٥ وما بعدها مع رسالته المشار اليها سابقا .

■ الفوارق الاجتماعية :

القارىء المتمعن في ادب العصور الوسطى يصل اثناء قراءته الى درجة يتأكد فيها ان منزلة اصحاب المهن في المجتمع الاسلامى انذاك لم تكن تلك المنزلة المحترمة . فنحن نجد ان كثيرا من المهن كانت محتقرة وغير مرغوب فيها في ذلك المجتمع ، وذلك يعود اما للجاهلية واما للحياة الحضرية الجديدة ومفاهيمها عن اصحاب المهن .

ففي الجاهلية عاش العربي حرا طليقا لا يخضع نفسه لحكم ، لا بل يكره ان يكون مقيدا لاى شيء ، لذا فقد كره المهنة التى تقيده وتشل حركته ، وكذلك في المجتمع العربى العباسى كان لاصحاب المهن منزلة منخفضة في سلم الطبقات الاجتماعى وربما كان هذا بتاثير الفرس ، ولكن مهنا اخرى كانت محترمة جدا ، كالتجارة مثلا ، ومرد ذلك الى كون العرب كانوا يحترمونها ايام الجاهلية وخاصة قبيلة قريش التى كانت تسكن مكة وتعتاش على التجارة ، وكذلك لان الاسلام كان يجلها ، كيف لا والنبى محمد نفسه كان قد عمل في التجارة مدة طويلة * . وسواء اكان اصحاب المهن محتقرين او من منزلة اجتماعية منخفضة ، نظر اليهم في العصر العباسى نظرة مهانة واحيانا كثيرة نظرة احتقار بتاثير النظرة السابقة .

هذه النظرة جعلت اصحاب المهن ينقوقعون على انفسهم ويتخذون لهم مثلا خاصة تختلف تماما عن المثل العليا للطبقات الاجتماعية الراقية ، وادخال اصحاب المهن لهذا اللون من الادب — كالحجام والحائك — المهن المحتقرة ، لم يخلق دائما تضادا محقرا او تفاكها صرفا ، لكنه خلق احيانا طرفة جميلة او ابتسامة عريضة خفيفة .

ان الادب العربى هو ادب الطبقات العليا لها كتب ومن اجلها قدم ، لذلك سواء شاء الكاتب ام لم يشأ ، كان عليه بالنسبة للكتابة عن اصحاب المهن ان يزود تلك الطبقات — العليا — بمادة مضحكة مسلية .

وخير كتاب نستقي منه امثلتنا عن الفوارق الاجتماعية التى ذكرناها ، هو كتاب « نثر الدر » او الدرر للابى او الابى ، حيث نجد هذا الكتاب النادر يعج بطرف حول اصحاب المهن ومكانتهم الاجتماعية ، التى تؤدى بالتالى وبعد الباسها ثوبا ادبيا جميلا الى اضحاك الطبقات الارستقراطية ، العليا *

وها نحن نسوق منه بعض الامثلة التى ارتايناها مناسبة لما نحن بصدده :

١ — تنبأ حايك بالكوفة فقالوا : ما راينا نبيا حايكا ، فقال : وهل رايتم نبيا صيرفيا (١٠) .

٢ — ارتفع رجل كان في الاصل حايكا حتى ولى ولاية فقال له يوما مقن له وقد كان قرب العيد : هب يا ايها الامير عمامة انعم بها يوم العيد ، فقال له : هات الغزل حتى ارد عليك العمامة قبل العيد بثلاثة ايام (١١) .

٣ — روى عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : واتبعك الارذلون ، قال : الحاكه (١٢) .

٤ — وروى عنه — مجاهد — انه قال : عقل سبعين حايكا عقل امراة واحدة (١٣) .

٥ — قيل للمجدد القراد كيف اصبحت اليوم ، قال : كيف يصبح من يرجو خير هذا !! — مشيرا الى قرده (١٤) .

٦ — استدعى بعضهم قلاعا ليقلع ضرسا له . وكان الرجل ابخر . فلما فتح فاه قام القلاع وقال : ليس هذا من عملى ، هذا من عمل الكنافين (١٥) .

٧ — وقف رجل على صاحب بطيخ وهو ينادى هذا عسل ، هذا سكر ، هذا قند ، فتقدم اليه الرجل وقال : عندى عليل يشتهى بطيخة حامضة ، فقال : خذ ولا تلتفت الى قولى فانه خل (١٦) .

في الامثلة التى تقدمت نجد نظرة الاحتقار الموجهة الى الحاكة والحجامين ، ظاهرة جلية ، فالحايك لا يمكن له ان يتنبأ ، وهو بخيل في المثال الثاني ، لا يمكن ان ينسى مهنته ، وهو من الارذلين وعقله لا يساوى شيئا ، اما بالنسبة للقراد فالنكتة هنا واضحة جلية جميلة . وبالنسبة للحجام والابخر فهى نكتة تحمل ابعادا اجتماعية فكذلك بالنسبة لبائع البطيخ ، فلو كان هذا الابخر من الطبقات العليا لما تجرأ الحجام على اهانته بمثل تلك الاهانة المذكورة سالفا .

هذه الاطعمة في كتاب « الطبيخ » للبغدادى) .

الغضارات : الصحاف المتخذة من الغضار ، وهو الطين الحر .

العميد والمعمود : الذي عمده الحب ، اي اوجعه واضناه .

البزماورد : ضرب من الخبز يحشى بشواء مدقوق مضاف اليه الخل . انظر باقى صفاته في « الطبيخ » .

* راجع « القران الكريم » وقضية الايلاف « ولايلاف قريش ايلافها ، رحلة الشتاء والصيف » .

* كتاب « نثر الدر » لم ينشر بعد ، فهو ما زال مخطوطة ، وكنا قد قرأناه مصورا (ميكروفيلم) . والفيلم يعود الى الدكتور ى. سادان فله منا جزيل الشكر على سماحه لنا بالاطلاع على هذه المخطوطة النادرة .

■ فوارق اسلوبية :

من المعروف ان الاحتكاك الذى تم فى العصر الاموى بين العرب والامم المغلوبة اثمر فى العصر العباسى بحيث اكتسب العرب الكثير من تلك الامم فى شتى المجالات الحضارية ، منها المجال الاجتماعى والادبى واللغوى فاتسعت اللغة وشرعت ابوابها لدخول الكثير من المصطلحات والمفردات الاعجمية وليس هنا مكان تفصيل ذلك . ولكن ما يهمنا هنا هو ان اللغويين فى العصر العباسى صرفوا جل همهم فى ابحاثهم الى الفترة الجاهلية للتفتيش عن مادة اللغة لاستخدامها فى علومهم النقلية والعقلية ولم ينتبهوا بالمرة الى الكلمات البسيطة التابعة للحياة اليومية فى ذلك العصر نفسه . ولذلك نجد ان كل كلمة بسيطة تابعة للحياة اليومية تثير الضحك وتكون مثارا للعبث فيما اذا استعملت فى موضوع ادبى خالص . والامثلة على ذلك كثيرة جدا سنقتطف بعضها ابانا لما قدمناه :

قال بعض الشطرنجيين :

يجول فى الارض واقطارها كما يجول الرخ فى الرقعة

و :

مشوا الى الراح مشي الرخ وانصرفوا
والراح تمشي بهم مشي الفرازين (١٧)

ان عماد التشبيه بين البيتين هو الرخ والفرازين ، وكلا اللفظين دخيل على العربية ، وهذا المزج بين الفصاحة والكلمات الدخيلة لا شك يثير الضحك .

■ فوارق تربوية زمنية :

من المعروف ان افراد الطبقة «الراقية» يتمسكون بمنزلتهم ويحاولون رفض كل عنصر اخر يريد الالتحاق بهم وبطبقتهم ، وكذلك يضعون حدودا وشروطا لمن يريد ان يرتقى الى تلك المنزلة .

وكان الارتقاء يشترط اجادة اللغة العربية الجاهلية وخلفيتها ، والمقصود بالخلفية ــ شبه الجزيرة العربية بكل تقاليدها * ــ ومن هنا كان على الفرد ان يعيش فى الحاضرة العباسية حياته اليومية العادية ولكنه من جهة اخرى يحتم عليه ان يحيا حياة ادبية جاهلية بدوية ، وهذه الحياة يختلف فيها زمنها كما وتختلف فيها خلفيتها عن حياة الحاضرة . وخير مثال على ذلك الحب العذري الذي نما وتطور فى العصر الاموى .

ما يضحكنا هنا هو : ان نجد ، مثلا ، انسانا عاشقا فى العصر العباسى وما بعده يحلم حلما جاهليا بخلفيته وبزمنه المختلفين كليا عن الواقع المعاش فى الحاضرة حيث تختلف فى هذا الواقع المفاهيم وتختلف الثقافة والعادات ، لان معظم افراده العاديين من الاعاجم الذين اسلموا حديثا ، وهذا كله يشكل عندنا مادة تبعث فينا الضحك .

وخير مثال نسوقه على هذه القضية وعلى ما سبقها من استعمال كلمات بسيطة معاشة فى واقع حضرى باسلوب جاهلي قديم او فى موضوع جاهلى قديم هو المثال التالى :

---

* راجع مقال الدكتور ي. سادان « حليب وخمر » فى مجلة « هسفروت » . العدد ، ٢١ ص ١١٩ ــ ص ١٣٤ .

حدثنا ابو محمد المعلى بن احمد الكردى . . . قال : اجتمع فى محلة ناكل وهى محلة الاكراد . . . صايغ وكردى ومعلم ومتفقه يدعى العشق وديلمى صاحب تشبيب ، فاصحروا عشية يتماشون ويتحادثون ، وطلع البدر لتمه فاستحسنوه وقالوا لا بد لنا من تشبيهه فليشبهه كل واحد منا بما يحضره فبدا الصايغ وقال : كانه سبيكة خرجت من البوتقة ، وقال الكردى : كانه جبن خرج من القالب ، وقال المتفقه العاشق : كانه وجه المعشوق طلع على العاشق ، وقال المعلم : كانه رغيف حوارى خبز فى دار غنى واسع الرحل ، وقال الديلمى : كانه ترس ذهب يحمل بين يدى الملك .

■ الكنايـات :

تعريفها : لفظ اطلق واريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى .

بلاغتها : الكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل اليها الا من لطف طبعه وصفت قريحته ، والسر فى بلاغتها انها فى صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية وفى طيها برهانها ، ومن اسباب بلاغة الكناية انها تضع المعاني فى صور المحسنات . ولا شك ان هذه خاصة الفنون ، فان المصور اذا رسم صورة للامل او الياس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عنه واضحا ملموسا .

ومن خواص الكناية انها تمكنك من ان تشفي غلتك من خصمك من غير ان تجعل له اليك سبيلا ، ودون ان تخدش وجه الادب وهذا النوع يسمى بالتعريف .

ومن اوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تستسيغ الاذان سماعه وامثلة ذلك كثيرة فى القرآن وفى كلام العرب * (١٩) .

ونعود الان الى موضوعنا الاساسى الذى نحن بصدده ، فنظرا لما بيناه سابقا من خصائص الكناية فقد استعملت هذه الظاهرة فى الكناية عن الصنعة الخسيسة ، ومثال ذلك ما يقوله الجرجانى (٢٠) .

قرأت فى بعض كتب الادب ان الحجاج خرج ذات ليلة فظفر برجلين فقال لهما : من انتما ، فقال احدهما : انا الشريف ابن الشريف ، وقال الاخر : انا الكريم ابن الكريم . فقال لكل منهما بن لي عن حسبك كيما اعرف نسبك ، فقال الاول :

انا ابن الذى لا تنزل الدهر قدره
وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره
فمنهم قيام حولها وقعود

وقال اخر :

ان ابى مات غير مفتقد
برحمة الله ايما رجل
له رقاب الانام خاضعة
ما بين حاف وبين منتعل

---

* اذا شئت الاستزادة راجع كتاب « البلاغة الواضحة » لعلى الجارم ومصطفى امين فالامثلة هناك شاملة واضحة .

يأخذ من مالها ومن دمها
لم يمس من ثائر على وجل

فقال : خلوا سبيليهما لادبهما لا لحسبيهما . وكان الاول ابن باقلاني والثاني ابن حجام (٢١) .

وامثلة اخرى :

دخلت دلالة الى قوم تخطب اليهم فقالوا ما صناعته قالت يكتب بقلم حديد ويختم بالزجاج فعلموا انه حجام (٢٢) .

قيل لحائك ما صناعتك ، قال زينة الاحياء وكسوة الموتى (٢٣) .

سئل الشعبي عن رجل فقال : انه لنافذ الطعنة ركين العقدة ، فاذا هو خياط (٢٤) .

من الجدير ذكره ان معظم هذه الامثلة التي اوردناها هنا على لسان الجرجاني يوردها الثعالبي في كتابه المعروف بالكناية والتعريض (ص ٤٥ — ٤٦) .

ما الذي يبعث فينا الضحك هنا ؟

الشيء الاول هو استعمال كلمات من مستوى معين لمستوى اخر اقل منه درجة كالمثالين الثاني والثالث .

والشيء الثاني هو التستر وراء تشبيهات جميلة للقول او التعريض باشياء كانت العرب تحتقرها كالمثال الاول .

■ طرائف :

في هذا الباب سننقل لك عزيزي القارىء بعض الطرائف الادبية الجميلة التي تدور حول موضوعنا والتي لم يفسح العمل مجالا لادخالها في صلبه ، وما هدفنا من نقلها لك في هذا الباب الا اغتصاب بسمتك — ترويحا لنفسك عن همومها — وتعريفك بتراثك الجميل القيم وباجدادك ومزاجهم وجمال تفكيرهم وبسرعة خاطرهم وكرة المامهم . ونستميحك عذرا اذا وجدت بعض الكلمات النابية في هذا المجال ، فبدونها يفقد المثال لذته . فمن الادباء والنحويين يروى الكثير الجميل ، وهاك بعضه :

سمع (ابو عثمان المازني) من بطن رجل قرقرة ، فقال هي ضرطة مضمرة (٢٥) .

وقال ابو الحسن اللحام في الشكوى :

انا من وجوه النحو فيكم افعل
ومن اللغات اذا تعد المهمل
حال تنشفت الليالي ماءها
وتجمل لم يبق فيه تحمل (٢٦)

وقال ابو سعيد الرستمي يعاتب الصاحب :

افي الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم ما دون الرضى شاعر مثلي
كما الحقت واو بعمرو زيادة
وضويق بسم الله في الف الوصل (٢٧)

وقال يزيد بن حرب الضبي في حفص بن وبرة يهجوه وقد لحن مرقشا في شعر له :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل
وانف كمثل العود عما تتبع
تتبع لحنا في كلام مرقش
وخلقك مبني على اللحن اجمع
فعيناك اقواء وانفك مكفأ
ووجهك ابطاء وانت المرقع * (٢٨)

ويروى عن الجند واصحاب السلاح في الفيرة ما يلي :

تكلم الهجر فقال الهوى
ما هذه الضوضاء في عسكري
وقال للآمر في جيشه
ما لك لا تنهى عن المنكر
فتجيء بالهجر يجرونه
فلم يزل يصفع حتى خرى (٢٩)

ويروى الاطباء ما يلي :

من دعاء الطبيب ابي ايوب : اللهم اسقنا شربة من حبك تسهل ذنوبنا (٣٠) .

وعن الشعراء يروى ان مروان بن ابي حفصة نظر الى ابنه ابي الجنوب وهو يصلي صلاة خفيفة فقال له : يا بني صلاتك رجز (٣١) .

■ الخلاصة :

وبعد عزيزي القارىء لا بد لنا من ان نختتم بحثنا المتواضع هذا بما يلي :

مما تقدم نجد ان اصحاب المهن في كتب الادب كانوا منارا للسخرية ومبعثا للضحك للطبقات العليا . وهذا الضحك ناتج كما بينا من : البعد الاجتماعي الادبي والهوة بين الطبقات في المجتمع الاسلامي خاصة في العصر العباسي وما بعده ، ومن الاختلافات بين المستويات سواء اكانت هذه المستويات طبقية اجتماعية او ادبية لغوية او زمنية تعود الى تراث العرب القديم .

وجل ما قدمناه يقوم على التضاد الاجتماعي واللغوي والادبي .

وفي النهاية نامل ان نكون بهذا العمل قد القينا بعض الضوء على جانب من جوانب تراثنا الادبي الذي يحتاج بعد لابحاث جادة لتكشفه وتجلوه اكثر فاكثر .

(البقية على ص ٥٠)

* حسب ما جاء عند الخليل بن احمد الفراهيدي ، الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعا وبعضها منصوبا وبعضها مخفوضا . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف اخر . والابطاء اعادة القافية من غير اختلاف المعنى .

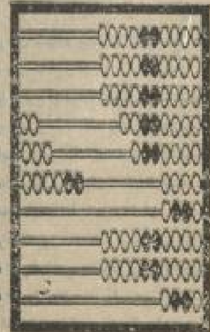
اعداد : سهيل سويد ـ حيفا

من الاصابع العشر الى الكمبيوتر الالكتروني

✶ في العصور القديمة

الحاجة الى اجراء عمليات الحساب نشأت لدى الانسان منذ اقدم العصور . فمع ظهور علاقات التبادل والتجارة الاولية ، اصبحت الحاجة الى العد ضرورية .

ومن الوسائل الكثيرة التي استعملت لهذه الغاية ، كانت **الاصابع العشر** اكثرها سهولة . ويمكن القول ان اصابع اليدين كانت اول « آلة حاسبة » متطورة عرفها الانسان . فهي تمثل نظام عد جامعا يتميز بالبساطة والنجاعة و«السهولة في النقل» ! . ولكنه من جهة اخرى يفتقر الى ميزة هامة جدا ، وهي امكانية المحافظة على نتيجة العد حتى ولو لفترة قصيرة .



هذا النوع من العدادات صنع في بابل (٣٠٠٠ ق.م) وطور في الصين وهو لا يزال واسع الانتشار في عدد من البلدان حتى يومنا هذا .

ولجا الانسان القديم الى الحفر في الاشجار والصخور لتسجيل حساباته ، وبهذا ضمن صيانتها . واقدم المخطوطات التي نعرفها هي كتابات الشوماريين (٣٧٠٠ - ٣٠٠٠ سنة ق . م .) التي كانت تجري على لوحات من الطين .

وابدع المصريون حين صنعوا من قصب الكولان **ورق البردي** (حوالي ٣٠٠٠ سنة ق . م .) واستخدموا بذلك وسيلة عملية جدا من حيث سهولة نقلها . وبقي هذا الورق اكثر وسائل الكتابة شيوعا الى ان اخذ **الجلد الابيض** يحل محله في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد .

اما اليونانيون والرومان فقد استعملوا **الكتب الخشبية** المؤلفة من بضع لوحات خشبية (٢ الى ١٠) مغطاة بالشمع يتم التدوين عليه بواسطة اداة معدنية حادة . وكانت هذه الكتب عملية اذ ان الكتابة التي تحويها كان بالامكان ازالتها (محوها) واعادة الكتابة عليها من جديد . ولكنها ، من جهة اخرى ، كانت ثقيلة ويتعذر اجراء تسجيلات كبيرة عليها .

صنع الصينيون **الورقة** واستخدموها في القرن الثاني ق . م . ولكن وسيلة الكتابة هذه ، التي هي اكثر ما صنعه الانسان حتى يومنا هذا رواجا ، لم تعرف في العالم الا في القرن الثامن ب . م حين عرفها العرب ونشروها في الاراضي الواسعة التي كانوا يحكمونها !! .

بالطبع لم تصنع الانسان كل وسائل الكتابة بهدف اجراء الحساب عليها . ولكن من المؤكد انه مع تطويرها وجعلها قابلة للكتابة بصورة اسرع وذات سعة اكبر ، ازدادت سرعته في الحساب وقدرته على خزن وصيانة اكبر كمية من المعلومات .. وهذان امران على جانب كبير من الاهمية في عمل الانسان الحسابي .

✶ الآلة الميكانيكية

لقد استعمل الانسان وابتدع وسائل للعد والحساب لا يمكن حصرها في هذا المقال (من الضروري ذكر مسطرة **اللوغريثمات** التي صممها الرياضي الانجليزي **وليام**

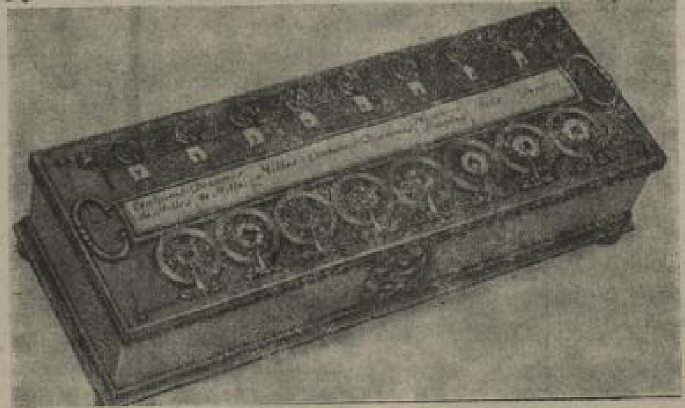


● بليز باسكال ●

ووترد في ١٦٣٠ ، ولا تزال تحظى بانتشار كبير حتى يومنا هذا) . الا انه في جميعها كان هو المنفذ المباشر والرئيسي لها . وفقط في العصور الوسطى جرت المحاولات الاولى لمكننة معادلات العقل البشري . ورغم ان اشهر الآلات التي صنعت في ذلك الوقت (على يد الكاهن الاسباني **رمون لول** في نهاية

القرن ال ١٣) كانت بدائية جدا وعديمة الفائدة العملية ، الا انها شكلت محاولة هامة شغلت اهتمام العلماء على امتداد قرن كامل .

معولين لابحاثهم ، لا سيما وان الحاجة لمثل هذه الآلات المعقدة والمتطورة لم تكن ماسة فى تلك الايام . وفقط فى القرن التاسع عشر ، حين اتضحت الفائدة القصوى



● عداد باسكال ١٦٤٢ ●

التي يمكن ان تعود بها الآلات الحاسبة ، ازاء اتساع التصنيع والمواصلات ونشاط البنوك المتزايد، بدأت الابحاث تثمر . فبنى العالم الفرنسي **شارل توماس** آلته وطور فيها جهاز الاستقبال ، الامر الذي رفع كثيرا درجة المكننة وقلص من حاجة الآلة الى تدخل الانسان .

حظيت آلة توماس بانتشار كبير ، فاضحت الاولى التي صنعت بالمئات . وقدم **باربور** الامريكي قسطا هاما لصناعة الآلات الحاسبة حين صمم ، لاول مرة ، آلة تفرز نتائج الحساب على جهاز طباعة خاص . وشارك علماء كثيرون من بريطانيا وامريكا وروسيا وفرنسا والمانيا وغيرها فى ادخال التحسينات المختلفة على الآلة الحاسبة وتوسيع نوع العمليات التي تجريها . فاصبحت تشمل ، عدا العمليات الاربع الاساسية ، حساب الجذر التربيعي والتفاضل والتكامل .

★ التحول

لقد لعبت هذه الاختراعات دورا كبيرا فى التسهيل على عمل الانسان . ولكن الدراسات فى حقل « تكنيك الحساب » بدأت تفرز اتجاهها وتوجها مختلفين تماما لتكون نظرية جديدة لصورة عمل الكومبيوتر (٢) . ويعتبر الرياضي الانجليزي الكبير **تشارلز بيبدج** أب فلسفة الآلات الحاسبة المعاصرة (٣) .

ولوقبت اولى اختراعات بيبدج بحماس كبير ومولت مباشرة بواسطة الجمعية الملكية للابحاث . بيد ان الآلة التي تصورها العالم كانت سابقة لمستوى التطور التكنولوجي (الميكانيكي) آنذاك ، فلم تتوفر لها الفرص لاثبات نفسها .

لقد عرض بيبدج مبدا **التحكم الاوتوماتيكي** لقيادة عمل الكومبيوتر . وهكذا ، ولاول مرة اصبح بالامكان التوصل الى اتمتة كاملة لكل العمليات، اي جعلها اوتوماتيكية كليا، الامر الذي حقق (حين توفرت القاعدة التكنولوجية) قوة خارقة للآلة الحاسبة .

وكانت آلة بيبدج (٤) متطورة جدا من حيث « الارخيتكتورا » (اجزاء الآلة الاساسية ذات المهام المختلفة) . وعلى الاساس ذاته تقوم الآلات الحاسبة اليوم . وهذه الاجزاء هي :

١ ـ « مخزن » لحفظ **المعطيات** المختلفة (الارقام والاسماء والقيم المختلفة) ، وهي تؤخذ منه لاجراء العمليات المختلفة وتسجل فيه النتائج المرحلية (٥) . اي ما يسمى اليوم ـ **الذاكرة** .

٢ ـ « فابريكا » (وسميت ايضا طاحونة) ، حيث تجري العمليات . بمصطلحات اليوم ـ **جهاز الحساب**.

٣ ـ **جهاز الادارة** لادارة تسلسل العمليات .

٤ ـ **اجهزة الاستقبال والخروج** لادخال البرنامج والمعطيات ، ولتثبيت النتائج النهائية .

ولكن ، كما ذكرنا ، وقف المستوى التكنولوجي دون توفر الفرصة لبناء آلة بيبدج الثورية .

وفى العام ١٦٤٢ بنى شاب فرنسي يدعى **بليز باسكال** اول آلة حاسبة حقيقية ـ جهازا مسننا لاجراء عمليات الجمع والطرح . وكانت تلك هدية قيمة للغاية من العالم ، ذي ال ١٩ ربيعا لوالده جامع الضرائب . واستفاد العلم كثيرا من اختراع باسكال لتطوير الآلات الحاسبة . وفى العام ١٦٩٤ انهى العالم الالماني الكبير **غوتفرد ليبنيتس** بناء اول جهاز يجري العمليات الحسابية الاربع الاساسية ـ الجمع ، الطرح ، الضرب والقسمة .

الا ان آلات باسكال وليبنيتس كانت بعيدة عن الكمال ومنع عطلها وعدم دقتها وكذلك صنعها باهظ الثمن انتشارها بشكل واسع .

وقام العلماء فى القرن الثامن عشر بمحاولات لتطوير الاجهزة المسننة القائمة ، غير ان القدرات التكنولوجية الضعيفة لم تهيء المجال لتحقيق ذلك سريعا . ولاقى المهتمون بالامر صعوبة فى ايجاد

فى نهاية القرن التاسع عشر فتحت صناعة الكهرباء الابواب واسعة جدا امام ثورة صناعية جديدة . وحملت هذه الفترة وحتى سنوات الاربعين من القرن العشرين اسماء عديدة لعلماء افذاذ ، من الصعب ذكرها



● شارلز بيبدج ●

دون الحديث عن القسط الكبير الذي قدمته لصناعة الآلات الحاسبة — الامر الذي يضطرنا الى الدخول فى تفاصيل علمية ليست فى مكانها الان.

★ عهد جديد

لقد اثر ضغط المتطلبات العسكرية، فى فترة الحرب العالمية الثانية ، باتجاه ظهور مجالات علمية جديدة وتطوير علوم اخرى تطورا سريعا . وهكذا ، وبالتعاون بين المؤسسات العسكرية والجامعات الامريكية تم بناء اول آلة حاسبة الكترونية — ENIAC (٦). كان ذلك عام ١٩٤٥ .

لقد قام هذا الكومبيوتر بحل القضية الاولى التي طرحت عليه ، وكانت فى حقل الفيزياء الذرية ، بسرعة فائقة (بمفاهيم سنوات الاربعين) . اذ انه أعطى نتائجه بعد اسبوعين ، فى وقت كان يتطلب الامر عمل ١٠٠ شخص لسنة كاملة.

ومنذ ظهور ENIAC شهدت الصناعة تطورا عاصفا فى الصناعة الالكترونية . وتبعا لذلك اصبحت الآلات الحاسبة اكثر مناعة وسرعة ودقة واقل حجما وسعرا . ولاجل المقارنة نذكر ان « بكر » الحاسبات الالكترونية كان يضم ما يربو على ١٨٠٠٠ لامبة (صمام كهربائي) ذات طاقة عالية ، الامر الذي جعل الآلة عرضة للخلل مرارا بسبب العطل الناتج عن احتراق اللامبات المتكرر . اما اليوم فان الحاسبات تبنى دون ان تستعمل اللامبات فيها ، بل تقوم القاعدة الالكترونية فيها على استعمال صفائح لا تحديد لمدة حياتها ! (٧) .

اما من حيث الحجم ، فان اجهزة كانت سعتها تقاس بالامتار المكعبة يمكن تصميمها اليوم على صفيحة صغيرة جدا . ونستطيع ان نلاحظ القدرة الهائلة التي اكتسبها الكومبيوتر خلال ٢٥ عاما من التطور، ان عرفنا ان سرعة الحساب فى الكومبيوتر الالكتروني الاول كانت لا تتعدى ٥٠٠٠ عملية فى الثانية ، بينما وصلت فى ١٩٧٠ الى ٢٠٠ الف عملية فى الثانية (٧) . وبعد ثلاث سنوات فقط، صنعت الشركة الامريكية IBM ، التي تجمع فى كنفها اكبر الاحتكارات فى صناعة الآلات الحاسبة ، كومبيوترا جديدا سرعته ١٥ مليون عملية فى الثانية (٨) .

★ خلاصة

لقد ووجه انتشار الآلات الحاسبة الالكترونية ، لدى ظهورها بمقاومة كبيرة من قبل جهات عديدة . كان ذلك نتيجة انعدام القدرة على تخيل مدى التفوق والميزات الجبارة المخزونة فى هذه الاجهزة الغريبة ، ولظهورها معقدة و «صعبة المراس»، ثم لبهاظة ثمنها . ولكن انتصار « العقول الالكترونية » بدا مع مرور السنين حتميا . وهي الآن تحتل كافة فروع الاقتصاد والحياة . وليست هذه الموجة الا فى بدايتها فقط ! .

ان الآلة الحاسبة الالكترونية اكثر اختراعات الانسان تعقيدا . ولكن غرابتها و «سحرها» يثيران اهتماما وفضولا كبيرين بكيفية عملها .

وهذا ما سنستعرضه فى المقال القادم .

---

١ — فى اوروبا انتشرت صناعة الورق فى اواسط القرن ال — ١٢ فقط (فى الاندلس) ولم يعم الورق القارة كلها الا فى النصف الثاني من القرن ال — ١٧ .

٢ — التسمية « كومبيوتر » ظهرت لاول مرة فى العام ١٨٨٥ عندما صمم الامريكي دور فيلت جهازا يستوعب اعدادا كبيرة (ذات منازل كثيرة) سماه كومبيوتر .

٣ — لم يكن بيبدج (١٧٩٢ — ١٨٧١) عالما نابغا فى الرياضيات فحسب ، فقد عمل فى عدد كبير من العلوم . اما كتبه فى الاقتصاد فقد قرأها كارل ماركس واورد مقتطفات منها فى كتابه « الرأسمال » .

٤ — مشهورة بـ « الآلة التحليلية » .

٥ — ليس المقصود بالعمليات الحسابية فقط .

٦ — اول كومبيوتر على الشكل الحديث بني عام ١٩٤٤ ، كان ذلك MARK - 1 ولكنه كان كهرو — ميكانيكيا ، الامر الذي جعله اقل سرعة بكثير من الكومبيوتر الالكتروني .

٧ — فى آلات اليوم هناك عدد قليل نسبيا من اللامبات الصغيرة قليلة التعرض للعطل . وحتى احتراقها (النادر جدا) لا يؤثر على عمل الآلة الاساسي .

٧ — IBM - 360/50

٨ — IBM - 370/195

كتب جديدة في السوق

منشورت اليسـار - المثلث

المستقبل للاشتراكيـة
فيدل كـاسترو

اغنت منشورات اليسار في المثلث المكتبة العربية في اسرائيل باصدارها تقرير سكرتير الحزب الشيوعي الكوبي العام ورئيس وزراء كوبا فيدل كاسترو امام المؤتمر الاول للحزب الشيوعي الكوبي .

لقد عقد المؤتمر في عام ١٩٧٧ . وتزامن التقرير مع الاوضاع الملموسة في ذلك الوقت . الا انه لم يفقد أي عنصر من عناصره الهامة وسيبقى اسهاما خلاقا في تطبيق الماركسية - اللينينية في المرحلة المعاصرة وبخاصة في الاقطار النامية حيث تنمو ثورة التحرر القومي الى ثورة اشتراكيـة .

وسوية مع معالجة الوضع الدولي وقضايا البناء الاشتراكي يؤكد فيدل كاسترو في هذا التقرير تمسك حزبه بالاممية البروليتارية فيعلن :

« يعتبر الحزب الشيوعي الكوبي نفسه فصيلة متواضعة ، ولكن يعوّل عليها ، من فصائل الحركـة الشيوعية العالمية . والاممية البروليتارية تجد تعبيرا عن نفسها اول ما تجد في الوحـدة الاكيدة والتكاتف الراسخ والاستبسال والثبات من جانب كل من رفع راية ماركس وانجلز ولينين في كل اركـان المعمورة ، ومن يهب قواه وحياته لقضية تحقيق البرامج الثورية التي طرحوها على البشرية ..

ويعتبر ان وحدة الحركة الشيوعية العالمية القائمة على اساس مبادىء ماركس وانجلز ولينين هي الشرط اللازم للانتصار في نضال الشعوب . لذلك فنحن نرفض وندين .. كل المحاولات التي تبذل لتمزيق وحـدة القوى الشيوعية على الصعيد العالمي ، او للحط من الدور المجيد الذي تقوم به الحزب الشيوعي السوفيتي في التاريخ المعاصر او محاولة الافتراء على هذا الدور » (٧٠ - ٧١) .

ورد كاسترو في تقريره على اولئك الذين يهاجمون الانفراج الدولي من منطلقات «يسارية» فاعلن :

« ليس للراسمالية مستقبل . فالمستقبل برمته للاشتراكية . والدفاع عن السلام يعني الدفـاع عن المستقبل . لم نكن نحن في البداية - عندما كنا مشتعلين غضبا من جراء الاعتداءات الامبريالية المستمرة - لندرك معنى هذه القضايا بمثل الوضوح الذى نفهمها به الان » .

من الصعب استعراض هذا التقرير لانه وحدة متكاملة والافضل ان يقراه المهتمون بمشاكل العصر .

القبـائل
عـادل محمود

واصدرت منشورات المثلث مجموعـة قصص عادل محمود « القبائل » التي صدرت اصلا عن دار ابن رشد في بيروت في عام ١٩٧٩ .

وتضم المجموعة ، التي تمتد على ١٠٣ صفحات من الحجم الصغير ، سبع قصص هي : « احتفاء حميد الدين » ، « العثور على احمد ميرزا » ، « الوطن للجميع والعم لا يشذ عن القاعدة » ، « هذا الصباح الماطر .. الجليل » ، « الغروب » ، « اثنتان » و « الهدوء » .

وفي هذه المناسبة نود ان نلاحظ ان من المفيد ان يعرف الناشرون المحليون ، في حالة اعادة اصدارهم كتابا ، صدر في العالم العربي ، بالمؤلفين وبخاصة اذا كانت كتبهم باكورة اعمالهم ، كما في هذه الحالة ، على ما نعتقد .

مجلس الاندلس للدعاية والفنون الجميلة - كفر مندا

جرح على خد القمـر
يعقوب احمـد

يقع هذا الديوان من الشعر في ٨٧ صفحـة من الحجم المتوسط ويضم ٤٤ قصيده غزلية واجتماعية يتردد فيها موضوع الاطفال .. وفي ثنايا بعضها تداعيات

سياسية . وقد صمم الغلاف الفنان محمد زعرور .

ونحن ننشر هنا قصيدة : «على ارصفة صدري»:

ينام فقراء الكون
على ارصفة صدري
يطاون باحذيتهم جسدي
ياكلون ... يشربون
يشعلون النار يتدفاون
يتحدثون عن طفولتهم البعيدة
وعن كل الاشياء يتحدثون
ينفضون غبار ملابسهم فوق عيوني
ينشرون غسيلهم فوق جفوني
وفي الصباح ... ينهضون
للحب يصلون
وامد يدي معهم
الى قرص الشمس
لنسخن كسرة خبز
لطفل جديد يولد الآن .

محيط الدائرة
زهير لبيب غضبان

هذه مجموعة زهير غضبان الشعرية الاولى وتقع في ٦٢ صفحة من الحجم الصغير وتضم ٢٤ قطعة وصدرت عن مطبعة عماد قرو ـ دالية الكرمل .

كتب « بيان غضبان » في تقديمه المجموعة :

« يعبر (الشاعر) عن انفعالاته بشفافية امام عين ضميره واضواء الحقيقة والتاريخ . الشعر الحديث عنده ليس تحررا من الوزن او القافية . بل هو الشعر الذي تنتظم قوافيه وتتراوح . هو انعتاق من المبنى الكلاسيكي للقصيدة العامودية الى اطار اكثر مرونة يجتمع بداخله الحرف الموسيقي والمضمون كاجتماع الروح بالجسد » .

وننشر قصيدة : « في جزيرة الاشباح » (ص ٤٥) :

في جزيرة الاشباح
يغني الفقر على مزمار الآمال المفقوده
المعطاة للفقراء مجانا
السلطة ـ بارك الله فيها
صنعت مقبرة للشهداء
فعلت خيرا ! !
واحاطته بسور من اسمنت عال
صلب جدا .. لا ينهار
حتى لا تهرب منه جثث القتلى
وتحتج ...

رأي الجديد ـ بقية

ليس من الصعب ان نجد مثل هذه الامثلة ! كما اننا لسنا في حاجة الى العودة الى محاكم التفتيش الرهيبة في القرون الوسطى .

لقد استنفرت هذه الصورة القاتمة لاوضاع أسرى « نفحة » الصحفي التقدمي امنون كابليوك فكتب في « عل همشمار » :

« ان المحاكم الاسرائيلية تحكم حتى الان على السجناء الفلسطينيين بتجريدهم من حريتهم لكنها لا تحكم بتعذيبهم . واذا كانت حكومة «التكتل» تريد ان تترك لنا إرثا قانونيا اضافة الى القوانين (الفاشية ـ الجديدة) التي تسنها الان في الكنيست فبامكانها ان تسن قانونا جديدا يحمل اسم « قانون السجون ـ تعديل ١٩٨٠ » ينص صراحة ان نصيب السجين في السجن هو المعاملة السيئة والاهانة والتعذيب » .

* * *

لم يهمل الادب العربي الفلسطيني معاناة الاسرى في غرف التحقيق والسجون الاسرائيلية .. بل اصبحت جزءا جوهريا من رصيده منذ ان اختار الشعب الفلسطيني طريق الكفاح من اجل الحرية والخير والسعادة والجمال ..

والادباء الفلسطينيون كان في وسعهم انلا يختاروا « نكتب لفلسطين بالدم » ، الا انهم يضطرون عند تدوين انتاجهم الى مواجهة واقع شعبهم المصبوغ بالدماء ، وبخاصة في الضفة والقطاع المحتلين ، لان حكام اسرائيل ، الذين يتنكرون لحقوق هذا الشعب يقمعون كفاحه بالحديد والنار .. بالارهاب والتعذيب .

ولا يمكن ان يعتب المرء على الادب الصادق .. وسيبقى هذا « الادب وحشيا » اي يصور الوحشية ويهز القارىء الى الاعماق ما دامت الاوضاع التي تستفزه قائمة ..

وبانتهاء القمع والارهاب والتعذيب .. وببدء الحياة الطبيعية بصراعاتها الاجتماعيه يبدأ الادب العربي صفحة جديدة ..

والمهم ان يسهم الادباء حتى يقترب هذا اليوم الى موعده باسرع ما يمكن .

« الجديد »

ترجمة العرب لتراث الاغريق عملية انقاذ للفكر الانساني

عدنان الراشدي – سوريا

استوقفتني طويلا عبارة قرأتها في كتاب « تراث الاسلام » لجمهرة من المستشرقين (ص ٥٦٣ – طبع دار الطليعة ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٧٢) والعبارة للمستشرق البارون كارادي فو (١٨٦٨ – ١٩٣٩) :

« قد لا نتوقع ان نجد عند العرب تلك العبقرية العظيمة وموهبة الابتكار العلمي والنشاط الفكري الذي نجده عند الاغريق ، فالعرب هم تلامذة الاغريق قبل كل الشعوب الاخرى ، وعلومهم انما هي تكملة لعلوم الاغريق حفظوها وصانوها من الضياع والتلف وتقدموا بها ، وفي بعض الاماكن اتموها واخرجوها بشكلها النهائي » .

قد نسر جميعنا بهذه العبارة لانها تأتي من عالم استشراق له اثر كبير في العلم ، ولا سيما وانه قد حقق العديد من كتب تراثنا وترجم بعضها الى الفرنسية . وقد يسجل البعض منا كذلك بعضا من التحفظات حولها :

١ – ان عبقرية العرب وموهبة الابتكار العلمي عندهم لا تحتاج الى توقع احد لانها حقيقة واقعة وانه لمما يحز في النفس ان صاحب العبارة عالم مختص بعلوم العرب ، فما بالك بغير علماء الاختصاص وعامة الناس ، انهم ولا شك يضعون علامة الصفر للعرب في هذا المجال ، وعلى الرغم من ان بحث المستشرق دي فو كان منصفاً لحد كبير ولكنه مقل بالنسبة الحقيقة التاريخية . ان العرب حفظوا التراث الاغريقي وصانوه من الضياع والتلف وتقدموا به ؛ هذا ما لا ينكره احد ، الا ان الشيء الذي ينكره البعض عن قصد او جهل وغفلة ، هو ان العرب اسسوا علوماً جديدة كل الجدة ، ان احصيت بدقة لوجد الباحث ان ما ابتكره العرب اضعاف مضاعفة عما ترجموه . هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية وهي الاهم – تحديد مسؤوليتنا كعرب في هذا الوقت تجاه تراثنا ورسم الصورة الحقيقية له كشفا عن اصالتنا وامداد طاقتنا ، لانفسنا ولغيرنا .

اذا كان الاجداد اورثوا الآباء تراثا عريقا خالدا ، ولم يحفظه الآباء حين غربت الشمس عن ديارنا من اقصى المغرب الى اقصى المشرق – بحكم جبرية المصير الواحد للامة العربية – واهتزت معالم الصورة الخالدة لامتنا في عيونهم ، نتيجة ظلمة الليل الفاشي التي فرضتها على نهار امتنا عصور من الانحطاط ، وهان على الموكل اليهم حفظ التراث شأنه – خطط الشام لمحمد كرد علي – واخذه الغرب ليعيده الينا باجزاء مشوهة مبتورة ، ... اذا كان هذا ما وقع فعلينا نحن ان نكون شديدي اليقظة وان نعرف قيمة تراثنا الذي جهل البعض قيمته .. ونخرجه الى النور مضيئا اظهارا لحقيقة وتأكيدا لتاريخ ناصع . وبحكم الانتماء المصيري للامة العربية علينا بسد الفراغ واضاءة غبش الظلام .

ان العرب حين ترجموا تراث الاغريق ، لم يترجموه – كترجمة بعض الادباء المعاصرين لكتب الغرب – وانما ترجموه وفق قواعد معينة :

١ – ان ترجمتهم كانت ترجمة فهم ومعاينة وتدقيق وتمحيص .

٢ – ان ترجمتهم كانت ترجمة نقد في اغلب الاحيان . وهنا نطرح السؤال التالي :

اذا لم تكن لدى العرب عبقرية معينة او موهبة ابتكار علمية ، أكان بامكانهم مناقشة كتب الاساتذة – كما يدعون – مناقشة نقد واضافة ؟ لا يناقش عالما الا عالم ولا يبارز فارسا الا فارس ، ولا يبني التاريخ الا معمر معطاء .

٣ – لم تكن ترجمة العرب لتراث الاغريق ترجمة نقل وتعريب بقدر ما كانت إحياء لميت اودع الاقبية منذ مئات السنين ، وإخراجه من عالم الفناء والنسيان والتعفن الى عالم النور والهواء ، وبعث حياة جديدة في اوصاله وجعله قريب المتناول لكل راغب معرفة .

٤ – لم يكن نقل تراث الاغريق ترجمة بقدر ما كان تمثلا رائعا واعادة صياغة .

٥ – لم يشوه العرب تراث الاغريق – كما فعل الغرب بتراثنا – ولم ينتحلوه وانما حفظ العرب لكل ذي حق حقه غير منقوص بأمانة علمية ندر على المؤرخين ان يجدوا مثلها لدى اي شعب آخر .

٦ – شغف العرب بالكتب شغف المعاصرين باقتناء فاخر الثياب وجميل الاثاث وروائع الابنية والعمارات ، فكان لهذا الشغف والحب اعظم الاثر في دفع عجلة الترجمة الى اقصى مداها وبناء حضارة شاهقة البنيان راسخة الاساس .

ان ما قام به العرب من ترجمة التراث الاغريقي ووضعه في متناول ايدي العالم كله ، ليعتبر عملية انقاذ للفكر الانساني ، له دلالاته الكبيرة في التاريخ الانساني فقد كان بعيداً عن التعصب الانتمائي للامة العربية .

ونذكر عبارة قالتها المستشرقة زيغريد هونكه في كتابها القيم «شمس الله تسطع على الغرب » : يجب على البشرية اليوم ان تشكر العرب لانقاذهم الحضارة وحبهم العلم .

ان اعادة كتابة التاريخ العربي وتحقيق التراث ، الذي تتبناه قطرنا لمنطقة متميزة في تاريخنا المعاصر وتحقيقا رائعا لرسالة امتنا .

فترة واخرى عاوياً فى راسه .. وبدات الدماء هي الاخرى تصخب عاليـــاً فى جسده : احس بنفسه معزولا .. وحيدا وسط كراهيــة الجميع ، والجميع يتمنى موتـــه باسرع وقت .. بل انهم لا يكفون عن التآمر عليه لكي يقودوه الى ذلك الموت الحقير الذي يناسبه ..

وكان الدم ما زال يصخب عاليـا ملتهبا فى جسده وراسه : انه نـداء المجزرة .. انه نداء نوافير الدم .. آه كم يحن الى سفك الدماء ... الى مشاهدة مائة رجـل ، او الف رجل مربوطين على اعمدة الاعدامات، وفصيلة الاعدام تنتظر اوامر باطلاق النار عليهم .. لا .. انه لا يسمح لهؤلاء « العبيد الانذال » ان ينتزعوه من هذا الكرسي الذهبي الذي قفز اليه بعد محاولات ومؤامرات عديدة كادت ان تؤدي به الى الموت بعـد ان صفى اكثر الناس قربا اليه من الاعوان و « الازلام » .. لا .. وليس هذا فقط ، انما هو مستعد لان يبيد نصف السكان من اجل حمايـــة « الثورة » والحفاظ عليها بأي ثمن كان . وفجاة ضرب الطاولة الفضية بقبضتـــه بغضب عنيف .. ولكي يخفف من وطاة صخب الدم الذي يهدر فى راسه سال رئيس المخابرات بصوت لا يشبه صوت الانسان :

ـ هل نفذتم احكام الاعدام باولئك المشاغبين الخونة ؟

ـ نعم يا سيدي .. لقد تم تنفيذ الاحكام فى الساعة الرابعة فجرا .

وسال من جديد وقد خف هدير الدم فى راسه :

ـ ومتى تعـــدمون المشاغبين الجدد ؟

ـ ان شاء الله غدا بعد الفجر .. ولكن عفوا يا سيدي توجد لدينا ثمة مشكلة : اذ ان احد المحكومين ما زال صغيرا ، ولا يتجاوز عمره السادسة عشر .

صرخ الجنرال بسخط :

ـ وهل تحسب هذا الامر التافه مشكلة ايها الغبي ؟ .. اتصل بمدير الجنسية لكي يكبروا عمـــره .. مفهوم ؟

ـ اجل يا سيدي .. أمرك مطاع يا سيدي .

فكر الجنرال ان الاسلوب الوحيد الذي يجب ان يتبعه مـــع هؤلاء « الرعاع الاوغاد » هو ان يحصرهم فى دائرة الرعب ، وان يجعلهم كقطيع من خرفـان مذعورة والاستمرار فى تكثيف هذه الدائرة ، وجعلها اكثر متانة .. وخاطب نفسه : « لقد اثبت تاريخهم الطويـــل بأنهم لا يخضعون الا للعنف ... اذن فمزيدا من العنف والرعب ، وليكن هذا هو شعاري الوحيد » .

وفجاة دخل احد الجنود وهمس فى اذن الجنرال بان ثمة تظـــاهرة كبيرة ، وصاخبة ، تجوب الشوارع وتهتف ضـــده .. انتفض الجنرال المعتوه واقفا وصرخ بجنون :

ـ اطلقوا النار عليهم بغزارة .. اسحقوهم .. اطلقوا النار حتى على الاطفال .. هيا بسرعة .. اقتلوا مزيدا منهم ، ليكونوا عبرة للاخرين .

جلس الجنرال المعتوه لاهثا من الغضب .. من جديد تصاعد صخب الدم فى راسه هادرا كدوامة ثائرة .. اسند الجنرال المعتوه راسه الى مـــسند الكرسي ، واستغرق فى كابوس جديد : انـــه الان يرى او يتخيل نفسه يركض مذعورا امام جمهرة كبيرة هائجة من النـــاس تطارده بالاحذية والفؤوس والخناجر .. وقد ادرك الجنرال انه لا يستطيع بعد الان الافلات من قبضتهم ، وان ثمة موتا حقيرا ينتظره بلهفة وجنون. استيقظ الجنرال مذعورا عـلى صوت كابتن جنده الذي قال لـــه لاهثا :

ـ لقد سحقنا المظاهرة بعنف يـا سيدي الجنرال .

صرخ الجنرال فى وجهه غاضبـا بهستيريا :

ـ اغرب عن وجهي ايها الكلب .

مرة اخـــرى رجـــع الجنرال ليستغرق فى كوابيس جديدة ..

الاسلام والعملية الثورية فى المرحلة الراهنة ـ بقية ـ

استبعاد حكومة بزرجان عن السلطة ، وهي اول حكومة عينها الخميني ، لانها انتهجت سياسة الدفاع عن راس المال الكبير وملاك الارض الاغنياء واعاقت عملية التطهير السريعة والعميقة في الجيش والجهاز الحكومي ونشر وثائق « السافاك » والقيام باصلاحات اجتماعية جذرية ، لا الابقاء على العلاقات الطبقية القائمة (٢٥) .

والان ـ وهذا الامر اشد خطورة ـ نرى الامبريالية والرجعية الخارجية تقدم مزيدا من الدعم لجبهة الثورة المضادة ، التي تضم كبار الراسماليين والملاك العقاريين المرتبطين براس المال الاجنبي وكبار المسؤولين في نظام حكم الشاه وعملاء السافاك وبعض اوساط الجيش وقسما معينا من الموظفين ورجال الدين الرجعيين .

واكدت هذه الحقيقة المؤامرة الرجعية ـ الامبريالية التي احبطتها القوى الوطنية التقدمية في شهر تموز ١٩٨٠ .

والواقع ان الوضع الحالي في ايران يشير الى ان في ايران ، وفي اطار العاملين من منطلقات دينية اسلامية ، اتجاهين ، الاول الاتجاه التقدمي الذي يسير عليه آية الله الخميني ، والثاني رجعي يمثله آية الله شريعة مداري الذى قام بدور هام في حكم الشاه وايد موضوعيا الامبريالية في قمعها لجماهير الشعب المضطهدة .

وحتى في القطاع الذي يطلق عليه القطاع اليساري نرى اتجاهين وتنظيمين : تنظيم مجاهدي الشعب ويتالف من اليسار الاسلامي ويقوم بدور فعال وتقدمي ، الى جانب « توده » والقوى الوطنية والتقدمية الاخرى ، ويطرح برنامجا دمقراطيا يتجاوب مع ضرورات المرحلة وحركة الفدائيين ، « الماركسيين الجدد » !! ، وهم من الماويين القدامى الذين يقومون بانتقامات استفزازية ويحتلون مواقعهم بين القوى الرجعية المعادية للثورة بحيث وصفهم الخميني بعملاء الامبريالية .

ولا يمكن ان يغيب عن الاذهان ان رئيس الجمهورية الاسلامية الدمقراطية ابو الحسن بني صدر ينتمي الى جبهة الليبراليين البرجوازيين مثل بزرجان ، كما ان وزير الخارجية الحالي قطب زاده يفتش على مسارب يصل بها الى التفاهم مع الامبرياليين .

وهذا يظهر من كثرة تصريحات قطب زاده المعادية للاتحاد السوفييتي والشيوعية .. ونشرت الوكالات مؤخرا ان زاده ، في رسالة بعث بها الى وزير الخارجية السوفييتي ، اتهم السفارة السوفييتية بالاتصال مع اعداء الثورة الاسلامية !! وزعم ان الاتحاد السوفييتي يرسل الى ايران عملا ومرتزقة ليؤلفوا « طابورا خامسا » ! تحت اسم « توده » !!

وجاء في رسالته ان الاتحاد السوفييتي يحتل اراضي ايرانية ! ويمنع الايرانيين فيها من الانضمام الى الثورة الاسلامية ! كما انه يزود كردستان بالمال والسلاح !!

واضاف زاده : ان الخميني وصف الولايات المتحدة بالشيطان الاكبر .. والاتحاد السوفييتي ليس اقل « شيطنة » من الولايات المتحدة !! (٢٦) .

وتجاهل زاده ان الاتحاد السوفييتي استخدم حق النقض (الفيتو) لاحباط مخطط الامبريالية الامريكية لاستصدار قرار من مجلس الامن يفرض الحصار الاقتصادي على ايران .

وفي الوقت نفسه صرح هذا الوزير ـ الذي يبايع قوى التمرد المعادية للثورة في افغانستان ـ ان ايران تواجه مخاطر داخلية تتعلق بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وهذه المخاطر يمكن ان تتجسم في تحول نحو قيام مجتمع تسيطر عليه الشيوعية ! الفوضوية ! وينتهي الى قيام نظام يفوق النظام الشاهنشاهي خطورة وسوءا (٢٧) .

ولا شك في ان الصراع الدائر في ايران لا يدور بين التدين او الدين والالحاد .. فالثورة منذ ان اندلعت لم تدر حول هذا المحور انما دارت بين القوى الوطنية الدمقراطية وحكم الشاه الطاغي المتعاون مع الامبريالية ..

وفي اعقاب انتصار الثورة يدور الصراع حول طريق المجتمع . والخيار بين طريقين اما تنمية الثورة القومية التحررية الى ثورة اصلاحات اجتماعية جذرية تقود الى الطريق اللاراسمالي ، طريق الاشتراكية ، واما تمكن اعدائها باجهاضها فتنتكس ويعود الحكم الى ابد طبقية اجتماعية ترسخ مواقع البرجوازية واسياد الارض وتتساوق مع الامبريالية والرجعية ..

وفي الظروف الحالية وعلى ضوء عمق الشعارات الاسلامية سيكون اصطفاف القوى او اعادة تجمعها وتوزيعها على الجبهتين المذكورتين ، في اطار الجمهورية الاسلامية ..

وهذا يؤكد من جديد ماهية المعركة فهي بين موقفين اسلاميين الواحد رجعي والاخر تقدمي .

(في الحلقة الثالثة والاخيرة : تداعيات الثورة الافغانية) .

---

١ ـ تاسست في ٦ تشرين الثاني عام ١٩٢١ .

٢ ـ من مقال بقلم د. محمود كامل في «الاهرام» ـ ١٢ شباط ١٩٨٠ ، و .د كامل كان من العاملين فيما بعد في « الاتحاد العربي » . وقد قام بعد تاليف الجامعة العربية بهدف استنفار الشعوب العربية لتاييد فكرة الوحدة العربية .

٣ ـ المصدر ذاته .

٤ ـ كتاب « الوحدة العربية » لمحمد عزة دروزة ـ القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ١٢٢ . وشارك في هذا المؤتمر مندوبون عن الحركة القومية المصرية على الرغم من عدم وضوح الهوية القومية العربية في مصر آنذاك .

٥ ـ في تلك الفترة كان الحزب الشيوعي السوري يوحد الحزبين السوري واللبناني .. وآنذاك لم تكن الاحزاب الشيوعية قد نشأت في الشمال الافريقي .

٦ ـ ظهر التيار السلفي بظهور الوهابيين في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر ثم امتد الى المغرب العربي .. فكانت السنوسية الاطار السلفي في ليبيا . اما في المغرب فعرف التيار بالتيار السلفي .. ويقوم هذا المنحى على اساس العودة الى العقيدة الاسلامية الاصلية (عودة الى السلف الصالح) ويرفض الشعوذات (مثل كريم

الامرحة ، التي تراكمت على الدين خــــلال القرون التي مرت على البعثة الاسلامية .

٧ ـ سنعود اليهم فيما بعد .

٨ ـ مقاله « الاسلام والاستعمار » .. روز اليوسف ١٢ـ٨ـ٧٩ .

٩ ـ والصين ، ولكن قيادتها انحرفت عن طريق الثورة الاشتراكية واتخذت موقعها على الصعيد الدولي وراء متراس اعداء الاتحاد السوفييتي والشيوعية بالتساوق مع الامبريالية الامريكية .

١٠ ـ لاحظ المراقبون ان من دوافع هذه الهبة شعور الطائفة الشيعية التي تنتمي اليها اكثرية السكان في باكستان والتي تعاني من شرور التمييز الطائفي الذي تطبقه الاقلية السنية الحاكمة .

١١ ـ ذكرنا سابقا دور لجنة العمال والطلبة التي قامت في عام ١٩٤٦ واحبطت بمظاهراتها مشروع معاهــدة العبودية التي ارادت بريطانيا فرضها على مصر انذاك وعرفت بمعاهدة صدقي ـ بيفن .. وقد شارك اعضاء «الاخوان» في هذه الحركة .. ولكن بعض الكتاب عزوا هذه الهبة الشعبية الى «الاخوان» مما يتعارض مع الحقيقة ..

١٢ ـ بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ تم اعتقال نفر من رجال المباحث الجنائية بتهمة اغتيال المرشد .. واعترفوا بان ترتيب الاغتيال جرى في وزارة الداخلية في عهد خلف النقراشي في رئاسة الوزارة ابراهيم عبد الهادي .

١٣ ـ « السفير » اللبنانية ٢٨ـ٩ـ١٩٧٩ .

١٤ ـ عارض قادة « الاخوان » مثلا التأميمات والاصلاح الزراعي واقترحوا ان يكون الحد الاعلى من الملكية ٥٠٠ فدان بينما حددت الثورة في مسيرتها هذا الحد بـ ٥٠ فدانا .

١٥ ـ في عام ١٩٧٩ نشرت زينب الغزالي ، احدى المشتركات في المؤامرة ، مذكراتها واكدت فيها ان التنظيم « الاخواني » بدأ قبل سنوات ، واتخذ السعودية مركزا له .. وجاء في هذه المذكرات ان « الاخوان » تأكدوا من ان المخابرات الامريكية والروسية والصهيونية (كذا) اصدرت تعليمات لعبد الناصر بالقضاء على الحركة الاسلامية .. « وبث اليأس في النفوس من امكان اي اصلاح او بعث عن طريق الاسلام » .. ولذلك كان على « الاخوان » تنظيم انفسهم ومحاربة عبد الناصر لان « ليس له في ولاء ، ولا تجب له اي طاعــــة على المسلمين حيث انه يحارب الاسلام ، ولا يحكم بكتاب الله تعالى » .. («السفير» اللبنانية ، ٢٨ـ٩ـ١٩٧٩) .

١٦ ـ « الاهرام » القاهرية ، ٢١ـ١٢ـ١٩٦٥ .

١٧ ـ جريدة « البلاد » ، جدة ، ١ـ٢ـ١٩٦٦ .

١٨ ـ « البلاد » ، ٢٢ـ٦ـ١٩٦٦ .

١٩ ـ المصدر ذاته ، ٢٠ـ١١ـ١٩٦٦ .

٢٠ ـ على سبيل المثال اصدر الحزب الشيوعي السوري بيانا في اوائل شباط ذكر فيه ان السعوديـــة تقوم بمبادرتها في ترويج الحلف بالتعاون مع حكام ايران اعداء شعبهم والضالعين في الحلف المركزي الاستعماري واسرائيل . وحذر الحزب من اخطار تمرير هذا المخطط الامبريالي الذي يخدم الامبريالية ومصالح احتكارات النفط ويهدد الانظمة العربية السائرة في طريق التحولات الاجتماعية .. ودعا الحزب الى محاربة هذا الخطر وتوثيق العلاقات مع الاتحـــاد السوفييتي ..

وجاء في البيان المشترك عن المحادثات التي جرت بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وسوريا في تشرين الثاني ١٩٦٦ ، بعد ذلك التناقض بين الشعب العربي وقواه التقدمية من ناحية والرجعية المتعاونة مع الامبريالية والصهيونية ، من ناحية اخرى ، جـــاء : « الامر الذي يتجلى في الهجوم الذي تقوده الرجعية ضــد القوى التقدمية والانظمة الثورية في الوطن العربي ... من خلال الحلف الاسلامي المزعوم الذي رفضته الجماهير ... » (« الاهرام » ، ٨ـ١١ـ١٩٦٦) .

٢١ ـ « الاهرام » ، ٩ـ٥ـ١٩٦٦ .

٢٢ ـ « الاهرام » ، ٢١ـ٢ـ١٩٦٦ .

٢٣ ـ مقاله في مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » ، عدد نيسان (٤) ، ١٩٧٩ .

٢٤ ـ كتابه « الاشتراكية والبلدان المتحررة » دار « التقدم » ـ موسكو ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٣ .

٢٥ ـ « مردم » صحيفة الحزب الشيوعي ـ توده ، ٧ـ١١ـ٧٩ .

٢٦ ـ ج. ب. ، ١٥ آب ١٩٨٠ .

٢٧ ـ الوكالات ، ٢٢ـ١ـ١٩٨٠ .

■ الفصل الثاني ■

بجماليون الاسطوره

« العمل الفني لا يعدو ان يكون تعويضا لانعـــدام التوازن فى الواقع الراهن » .

المصور موندريان

« الاشتراكية والفن » ـ ارنست فيشر

الديانه الاغريقيه موضوع لا يمكن فصله عن كل دراسه لها صله بالمنجزات اليونانيه القديمه . فالدين، لعب دورا اساسيا فى الحيـــاه والثقافه الاغريقيتين . بحيث نستطيع ان نزعم وبحق . بان ازدهـــار تلك الثقافه . كان مرتبطا عضويا بعباده تلك الالهه المتعدده. ولا امل لنـــا فى الاحاطـ . بالادب والفن الاغريقيين الكلاسيكيين . بدون معرفه اوليه . بطبيعه تلك الالهه . وما احاطها من اساطير . ارتبطت بها ارتباطا وثيقا [٣٨].

الديانة اليونانيه القديمه . ديانه وثنيه . مبنية على تعدد الالهه . تماما مثل بقية الاديـــان فى الشرق القديم . مع فارق مبدئي . ينبع من كون الديانـــة اليونانية القديمه . ديانه لاسلوكية . اي ان سلوك الانسان فى حياته اليوميه . لا علاقـــة له . بواجباته تجاه هذه الآلهة . وهذا الامر هو الذي يميزها عن كافة الاديان القـــديمة . فى الشرق . كالوثنية . فى كل من مصر . وما بين النهرين . ثم الديانـــات التوحيديـــة كاليهودية والنصرانية والاسلامية فيما بعد . فجميع الاديان . كانت تتضمن قوانين وتشريعات . هدفهـــا تنظيم علاقات الانسان بالآلهة . سواء كانت متعددة . او واحدة . كما حدث فيما بعد .

اما اليونان القدامى . فقد حزموا هذه القوانين والتشريعات . بحيث ميزوا بين ايمانهم الديني . وبين سلوكهم الاخلاقي . فى علاقاتهم الانسانية اليوميـــة . فالسلوك الحسن . والقيام بالاعمال الخيِّرة . لا يجر بالضرورة الى مكافاة عينية او معنوية . سواء فى هذه الحياة . او فى الحياة الاخرى . وزيادة على ذلك . كان اليونان القـــدامى يبنون علاقاتهم مع آلهتهم . على اساس المنفعة والمصلحة المتبادلة . فيقدمون لها القرابين. والضحايا . اذا طلب منها شيء وهكذا . ولكن . كان على كل مواطن ان يقوم بشعائر وطقوس معينة . تجاه هذه الآلهة [٣٩] . وهو امر ضروري وحتمي . وجزء لا يتجزأ من علاقته بالسلطة . وهكذا نستطيع ان نفهم . اعـــدام سقراط . فى اثينا . وارسال يوربيدس الى المنفى . ومحاكمة اناكساجوراس واحراق مؤلفـــات بروتاغوراس فى الاســـواق العــــــامة فى القرن الخامس قبل الميلاد . حيث اخذ الفرد اليوناني يتحرر من قيود العائلة . التي كـــانت تمثل القانون الالهي المقدس . ويشرع فى بناء المجتمع الديمقراطـــي المبني على قوانين مدنية اكثر تفهما لحاجات الانسان وتطوره الاجتماعي والاقتصادي [٤٠] .

ويجمع الباحثون على ان الانسان القـــديم . واليوناني بشكل خاص . كان يرى الآلهه فى كل شيء . وخاصه فى الاشياء التي تستعصي على الفهم . ومنهـــا الظواهر الطبيعيه التي كان العقل البدائي لا يجد لهـــا تفسيرا معقولا . كالشمس والقمر والبرق والرعـــد . والانهار . والبحار وغيرها . فنجد مثـــلا ان الانسان القديم . تصور النهر وكانه إله . وما اكثر الاساطير التي تصور لنا تلك الالهه . وقد اشترکت معه فى كفاحه اليومي [٤١] .

والاساطير والخرافات اليونانية القديمة حافلـــة بالآلهة وانصاف الالهة . التي كانت تخـــدم الانسان . فتذلل له العراقيل . وتقدم له الوسائل . للسيطرة على الطبيعه . وبخاصه فى اليونان ذات الطبيعة القاسيه . ولهذا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا . بان جميع الالهـــه . وخاصه الكبرى منها والتي . وصلت الينا عن طريق هوميرس . وعددها اثنتا عشره الهه . كانت تنحصر فى اطار علاقات الانسان بالطبيعه . كالارض وخصبهـــا . فحتى دين من الديانات القديمة . كان يضع نفســه فى كثير من الاحيان . فى خدمة معتنقيه . ولما كان المجتمـــع القديم . وخاصه فى اليونان . مجتمعا زراعيا . نجـــد جميع الالهه . إناث . وهي ترمز الى الخصـــب . كامرأة تحمل اطفالا على ذراعيها . تماما كالارض . حينما تعطي غلتها [٤٢]. اي ان اليوناني القديم لم يكن يعدم الوسائل . من اجل الحصول على مساعده الالهـــة فى الضراء . حتى يتخيل الينا فى الكثير من الاحيان . ان الآلهـــة اليونانية القديمة . لم تخلق إلا من اجل الانسان . ومن اجل توفير الظروف الملائمة . لخلق . ما اسماه المؤرخون فيما بعد . بالحياة المثلى . او الحياة الكاملة . حيث يذوب الجزء فى الكل . او الفرد فى الدولة .

اسطورة بجماليون . جزء من ذلك العالم الواسع. عالم الآلهة . الذي لم يكن له مثيل فى العالم القديم . فاليونانيون القدامى . عبروا تلك المرحلة . التي كـــان الانسان فيها يعبد تلك الاشكال البدائية فى الطبيعة . وافرغوا مشاعرهم الدينية فى اشكال شبيهة بالانسان . بحيث رأوا فيها من الصفات . ما يرغبون ان يروا فى انفسهم . وحينما يصنع الانسان آلهته على صورته . ويسبغ عليها صفاته واخلاقه او ما يشبه تلك الصفات والاخلاق . يسهل عليه . فيما بعد . ان يحوك حولهـــا القصص والاساطير [٤٣] . وبجماليون . احـــدى تلك الاساطير . التي نسجها الخيال الانساني . حول صراع الانسان مع ملكاته وقدراته . « اذ يحاول الارتفاع على ذاته . والتجرد من علائقه المادية المحددة بحدود الزمان والمكان . والتشبث بحياة فوق الحدود والقيود . وانه ليغامر فى سبيل ذلك بكل ما يستطيع . لكنه ينتهي

آخر الامر الى ما انتهى اليه اهل الكهف ، او الى ان يصير معلقا بين الارض والسماء كما انتهى الامر بشهريار » (٤٤) .

وبجماليون ، كقصة ، ومسرحية ، تعبر عن مغامرة الانسان في صراعه مع نفسه ، حينما يستشعر الالوهية في نفسه ، فيحاول ان يفرغ تلك الالوهية في اطار من واقع الحياة ، لكن هذه الحياة لم تجعل للالهة بل للانسان ، والانسان ، بعد ، هو الكائن المحدود برغباته ونزعاته الارضية (٤٥) .

اما الاسطورة القديمة ، فتروي ان مثالا شابا ، موهوبا ، من قبرص ، يدعى بجماليون ، كان يكره المرأة ، ويمقت، كل ما وضعت فيها الطبيعة من نقائص، بلا حدود . وقد قرر هذا المثال ان لا يتزوج ابدا ، لاقتناعه ، بان فنه سوف يعوضه عن كل شيء ، مع العلم بان التمثال الذي صنعه ، ووضع فيه كل عبقريته ، لم يكن سوى ، تمثال امرأة . وللامر تفسيران : اولهما ان يكون بجماليون ، قد عجز عن ان ينحي من ذهنه صورة المرأة ، بنفس السهولة ، التي نحاها بها من حياته . وثانيهما ، ان يكون قد اراد ان يصنع امرأة حقيقية ، يري بواسطتها للناس ، نقائص ذلك المخلوق الذي يريدون ان يعيشوا معه .

على كل حال ، اتم بجماليون صنع تمثال من العاج يمثل صبيه جميله ، صب فيه فنه كله ، فجاء التمثال ايه في الروعه والابداع ، بحيث كان من الصعب ان يميز احي هو ام جماد . فبدا الامر وكان الجنس الذي احتقره ، ونفاه من حياته ، اراد ان ينتقم منه . فشغف شغفا شديدا بالتمثال ، حتى انه وقع في غرامه، حيث كان ينفق الساعات الطوال وهو يحملق فيه ، ويلاطفه ويقبله . والبسه رائع الثياب وزينه بثمين الحلي ، الى ان زين له خياله الملتهب ان تمثال الصبية قد ناله التعب فجعله يضطجع على اريكة وثيرة ، بسط عليها طنافس وحريرا ، ووضع تحت رأسه المخدات المحشوة بالريش الناعم . وانفق ايامه يقبل تلك الصبية ، ويلثم قدميها ويديها ، دون ان يرتوي من جمالها الخلاب ، حتى بلغ به الحال الى ان صار يدعوها زوجته .

واشتط به الامر وبلغ مداه ، حتى كاد ان يفقد عقله . وصارح نفسه بانه لن يقوى على حياة خالية من تلك التي خلقها بيديه . وكانت الاستعدادات حينئذ قائمة على قدم وساق ، احتفالا بعيد الالهة «فينوس» فغادر بجماليون داره وتوجه ، الى حيث تقدم القرابين للالهة ، فقدمها ووزع الهبات الاخرى على ابنية الالهة . ثم زاحم حتى وصل الى المذبح ، وخر ساجدا ، ضارعا، الى الالهة ، ان تساعده في ايجاد زوجة شبيهة بتمثاله. ولكن الالهة فينوس ، ادركت مراده ، فاستجابت لطلبه، ونفخت الحياة في تمثال الصبية . وكم كانت دهشته حينما عاد الى منزله ، وقبل الصبية التمثال ، فاحس بدفء شفتيها ، فاعاد الكرة ، فشعر بانفاسها الحارة ، تلفح وجهه ، فالجم ، وراح مجنونا يتحسس ذراعيها ، وخصرها وردفيها ، حتى تاكد من صحة ما يرى . فخر ساجدا ، شاكرا ، حامدا . وقد دقت الجميلة باهدابها في حياء العذارى ، وتضرجت وجنتاها عندما مال يلثمها . ورفعت الى وجهه عينين بديعتين ، تسبح بنظراتها في قسماته . فعقد زواجه عليها ، وقد شاركت « فينوس » بجماليون في احتفاله بهذا الزواج . وتزعم الاسطورة، بان بجماليون، قد سمّى الصبية «جالاتيا»، وان ابنهما « باقوس » قد وهب اسمه ، لمدينة « فينوس » المفضلة (٤٦) .

يبدو من الاسطورة ، ان الالهة فينوس ، كانت تنظر الى بجماليون بعين الحسد . حينما تسامى في فنه ، وزاحم الالهة ، في عليائها ، واستطاع ان يخلق ذلك التمثال الرائع . ولكنها احست بالارتياح بقدر احساسها بالانتصار ، ازاء هذا التغيير في الراي من جانب الانسان الفاني الذي كان قبل ان يطلب منها ان تنفث الحياة في تمثاله ، برهانا ضد نفوذها (٤٧) .

ويبدو ايضا من الاسطورة ، ان بجماليون ، راى في « جالاتيا » المراة ، اكثر جمالا منها عندما كانت عملا فنيا ، والا لما رضي بها زوجة ، بحيث عاش معها في هناء وصفاء ، بعد ان كان يمقت المراة ويكرهها (٤٨) . فلو كان العكس هو الصحيح ، لقنع بجماليون بتمثاله . ولكن الاسطورة ، تحاول ان تقنعنا ، بان الجمال بدون الحياة ، لا يمكن ان يكون انسانيا . فبجماليون ، خلق الصورة الجميلة الرائعة ، ولكنه لم يخلق الصورة الحية ، النابضة بالحياة ، ولهذا لم يغن بجماليون ذلك الجمال الصرف في التمثال ، عن طلب ذلك الجمال الحي ، الذي وهبته اياه الالهة . لقد صنع بجماليون تمثاله الجميل وتحدى به الالهة ، ووقف امامها ندا في قدرته على الخلق ، ولكنه كانسان ، او بشر ، لم يستطع ان يصمد امام مغريات حقيقته كانسان ، فتراجع عن موقفه وطلب في تواضع معونة فينوس ، لكي تهب تمثاله الحياة ، ان تجعل الجماد يتحرك ، بحيث يستطيع بجماليون ان يحب جالاتيا بحق ، ويستطيع ان يتزوجها (٤٩) .

وتذهب الاسطورة الى ان جالاتيا انثى ، وهي كائن حي ، انها اكثر جمالا منها عندما كانت تمثالا جامدا . وهذا الامر ينبع من صميم كون بجماليون ، انسان ، لم يستطع ان يتجرد من سحر الحياة ، وان غريزة الانسان ، في قلب الفنان ، قد انتصرت في النهاية، على غريزة الفنان التي من الممكن في بعض الاحيان ان تكتفي بالجمال الصرف ، والصفاء المطلق ، ولكنها في نهاية الامر تنهزم امام ارادة الحياة ، التي تمثلها جالاتيا

الانسان . التي هبطت ببجماليون من سمائه الباردة ، حيث لا دفء ولا حياة ، الى معترك الحيـــاة ، معترك الواقع الانساني . الذي ارادت الاسطورة الاغريقية ان تؤكده بوضوح . حينما زعمت . ان بجماليون وجالاتيا . قد ارتبطا بالزواج ، وانجبا ابنهما الوحيد « بافوس » . وهو اسم مدينة محببة على قلب « فينوس » ، الهـــة الحب والجمال . حيث لا يخلو هذا الامر من مغزى . وفي اطار هذا المعنى . يمكن تفسير النهاية التي انتهت اليها الاسطورة . حيث تزوج بجماليون من جالاتيا بعد ان دبت بهـا الحياة (٥٠) .

أي ان الجمال الذي يفتقد الروح . لا تقبلـــه الحياة . فالحياة تطالب بحقها فيما تقبل وفيما ترفض . وهي لن تقبل الا الجمـال الذي يستند الى الروح ، والجمال الذي يولـــد عاطفة الحب ويشحذها . ولن يستطيع ذلك الجمال الصرف ان يفرض نفسه عـــلى الحياة . اننا قد نعجب به ولكن دون انفعال ، ونفضل عليه ، كما صنع بجماليون ، الجمال الحي ، اذا صح التعبير . وعلى هذا لم تستطع ابدية الجمال في الفن كما تمثلت في تمثال جالاتيا ، ان تنتصر او تفرض نفسها على وقتية الجمال الحي في جالاتيا الانسانة (٥١) .

واذا اردنـــا ان نختزل ، اسطورة بجماليون ، بعبارات موجزة ، نستطيع ان نقول ، بانها تعبير رائع ، عن انتصار الحياة ، وقضاء مبرم ، على كل ما يعطلها ، ويعطل ارادتها ، المتمثل في عـــداوة بجماليون للمرأة وكرهه اياها ، في اول الامر ، ثم عدولـــه عن ذلك ، واختياره الحياة في احضان زوجة جميلة ، طيعـــة ، يعطيها وتعطيه ، وهكذا الحياة .

***

■ المصـــادر :

١ ـ « زهرة العمر » ـ الحكيم ص : ٧٦

٢ ـ المصدر ذاته ـ الحكيم ص : ٧٩

٣ ـ المصدر ذاته ـ الحكيم ص : ٨٣

٤ و ٥ ـ المصدر ذاته ـ الحكيم ص : ٩١

٦ و ٧ ـ « ورة المعتزل » ـ غالي شكري ص : ٨٢

٨ ـ « توفيق الحكيم » ـ ادهم وناجي ـ ص : ١٠٩

٩ ـ المصدر ذاته ـ ادهم وناجي ـ ص : ١١١

١٠ ـ « ثورة المعتزل » ـ غالي شكري ـ ص : ٨٢

١١ و ١٢ ـ المصدر ذاته ـ غالي شكري ـ ص : ٨٣

١٣ ـ « تطور الرواية العربية الحديثة » ـ عبد المحسن طه بدر ـ ص : ٢٧٨

١٤ ـ المصدر ذاته ـ ص : ٢٧٩

١٥ ـ « توفيق الحكيم » ـ ادهم وناجي ـ ص : ١١٣

١٦ ـ « سجن العمر » ـ الحكيم ـ ص : ٤٤

١٧ ـ « زهرة العمر » ـ الحكيم ـ ص : ٢٦

١٨ و ١٩ ـ المصدر ذاته ـ ص : ٤٣

٢٠ ـ « توفيق الحكيم » ـ ادهم وناجي ـ ص : ١١٤

٢١ ـ « بجماليون » ـ الحكيم ـ المقدمة ـ ص : ١٠

٢٢ ـ « دراسات في الرواية المصرية » ـ علي الراعي ـ ص : ١١٥

٢٣ ـ « الملك اوديب » ـ الحكيم ـ المقدمة ـ ص : ٤٠ ـ ٤١

٢٤ ـ المصدر ذاته ـ الحكيم ـ ص ٣٩

٢٥ و ٢٦ ـ المصدر ذاته ـ ص ٤٢

٢٧ ـ « توفيق الحكيم » ـ ادهم وناجي ـ ص : ١١٤ ـ ١١٥

٢٨ ـ « زهرة العمر » ـ الحكيم ـ ص : ٨٢ ـ ٨٣

٢٩ و ٣٠ ـ المصدر ذاته ـ ص : ١٦٢

٣١ ـ المصدر ذاته ـ ص : ١٦٢

٣٢ ـ « مدخل الى تاريخ اليونان » ـ بيتر ارنوت ، لندن ١٩٧٢ ، ص : ٥٠ ، النسخة الانجليزية .

٣٣ ـ « الملك اوديب » ـ الحكيم ـ المقدمة ـ ص : ٥١

٣٤ ـ المصدر ذاته ص : ٥٢

٣٥ ـ « تطور الرواية العربية الحديثة » ـ طه بدر ـ ص : ٢٩٧

٣٦ ـ المصدر ذاته ـ ص : ٢٧٨

٣٧ ـ « زهرة العمر » ـ الحكيم ـ ص : ٣٦

٣٨ ـ « مدخل الى تاريخ اليونان » ـ بيتر ارنوت ، لندن ١٩٧٢ ، ص : ٢٩ ، النسخة الانجليزية

٣٩ ـ « أبيد » ـ ص : ٣٩ ـ ٤٠ (بالانجليزية)

٤٠ ـ المصدر ذاته ـ ص : ٦٥ ـ ٦٦

٤١ و ٤٢ و ٤٣ ـ المصدر ذاته ـ ص : ٤١ و ٤٢ و ٧٢

٤٤ ـ « قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر » د. عز الدين اسماعيل ـ ص : ٢٧

٤٥ ـ المصدر ذاته ، ص : ٢٧٠

٤٦ ـ « ميثولوجي » ـ اي هميلتون ، ص : ١٠٨ ـ ١١١ (بالانجليزية)

و « ميثولوجي » ـ مودرن لايبرري ـ عهد الاسطورة ـ ص : ٥٥ ـ ٥٦ (بالانجليزية)

و « لمحات من المسرح العالمي » جاذبية صدقي ـ القاهرة ١٩٧٠ ـ ص : ٥ ـ ٨

٤٧ ـ « قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر » ـ عز الدين اسماعيل ـ ص : ٢٧١

٤٨ ـ « اساطير اليونانيين والرومان » ـ ايتش . ا. غيوربر ـ ص : ٧٢ (بالانجليزية)

٤٩ ـ « قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر » ـ د. عز الدين اسماعيل ، ص : ٢٧١

٥٠ و ٥١ ـ المصدر ذاته ص : ٢٧٢

غافلتك ... وشربت كأس الخليل ـ بقية

وعرفت الامثوله
حزين كارملة فى اليوم الثالث
تخجلون من قرآن دمعى .
وحين وصلت الى رحم الارض
اشراب قلبـــى ... وصرخت :
لا حول الله
ولا حول ولا قوة الا
بحجرى ، قبلتى .. ويقينى
فاحمل احجارك يا وطنى واهجم
لا تخش غبارهم الذرى
المطر من البحر ، يعود الى البحر
والحجر من الارض ... ولا يفنى
الحجر قصيدتنا
الحجر سلام الارض .

اصحاب المهن فى كتب الادب ـ بقية

المصادر والاشارات

١ ـ لمعرفة الكتب التى عالجت هذا الموضوع ، عليك مراجعة مقال الدكتور ي. ساد'ن ، المنشور فى مجلة (هسفروت) عدد ٢٦ ١٩٧٨ شهر ابريل ، ص ١٤١ ـ ص ١٦٨ ، فما رأينا مقالا اشمل منه فى هذا الخصوص .

٢ ـ راجع مخطوط « نثر الدر » او « نثر الدرر » للآبى او للابى ، ص ١٦٢ .

٣ ـ راجع رسائل الجاحظ ، خاصة رسالة « فى صناعات القواد » ص ٣٨٠ وما بعدها . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٤ ـ الحصري ، ابو اسحاق ، توفى ١٠٢٢ م . : « زهر الاداب وثمار الالباب » ، تحقيق زكى مبارك ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٢٥ . و « جمع الجواهر فى الملح والنوادر » ، تحقيق الاجاوي ، علي محمد ، دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

النمرى ، ابن عبد البر : « بهجة المجالس » ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

الثعالبى ، ابو منصور ، توفى ١٠٣٨ م. : « فقه اللغة » تحقيق الدحداح ، رشيد شالاميل ، باريس ، ١٨٦١ . و « الفرائد والقلائد » طبع الفوائد والقلائد وهو خطا ، على هامش كتاب نثر النظم ، للمؤلف ، المطبعة الادبية ، القاهرة ١٣١٧ هـ. و « سحر البلاغة » ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٣٥٠ هـ. و « التمثيل والمحاضرة » : دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ . و « خاص الخاص » : مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٦ . و « احسن ما سمعت » ، المكتبة المحمودية ، القاهرة . بدون تاريخ .

٥ و ٦ و ٧ ـ الثعالبى « خاص الخاص » ، ص ٧٧ وما بعدها فصل الاطباء .

٨ ـ الجاحظ « فى صناعات القواد » ، ص ٢٨١ ـ ص ٢٨٢

٩ ـ المصدر ذاته ، ص ٢٩٠ ـ ص ٢٩٢

١٠ـ «نثر الدر» للآبى ، ص ١٥٨

١١ـ المصدر ذاته

١٢ـ المصدر ذاته

١٣ـ المصدر ذاته

١٤ـ المصدر ذاته

١٥ـ المصدر ذاته

١٦ـ المصدر ذاته

١٧ـ « خاص الخاص » ، ص ٨٢

١٨ـ المصدر ذاته ص ٦٦

١٩ـ اعتمدنا فى هذه المقدمة عن الكناية على كتاب « البلاغة الواضحة » لعلى الجارم ومصطفى امين ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٥٧ ، ص ١٣١

٢٠ ـ القاضى ، احمد بن محمد الجرجانى : « المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء » ، مكتبة دار البيان ، بغداد ، ودار صعب ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢١ـ المصدر ذاته ، ص ٥٦

٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ـ المصدر ذاته ص ٥٧

٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ ـ « خاص الخاص » ص ٦٧ و ص ٦٨

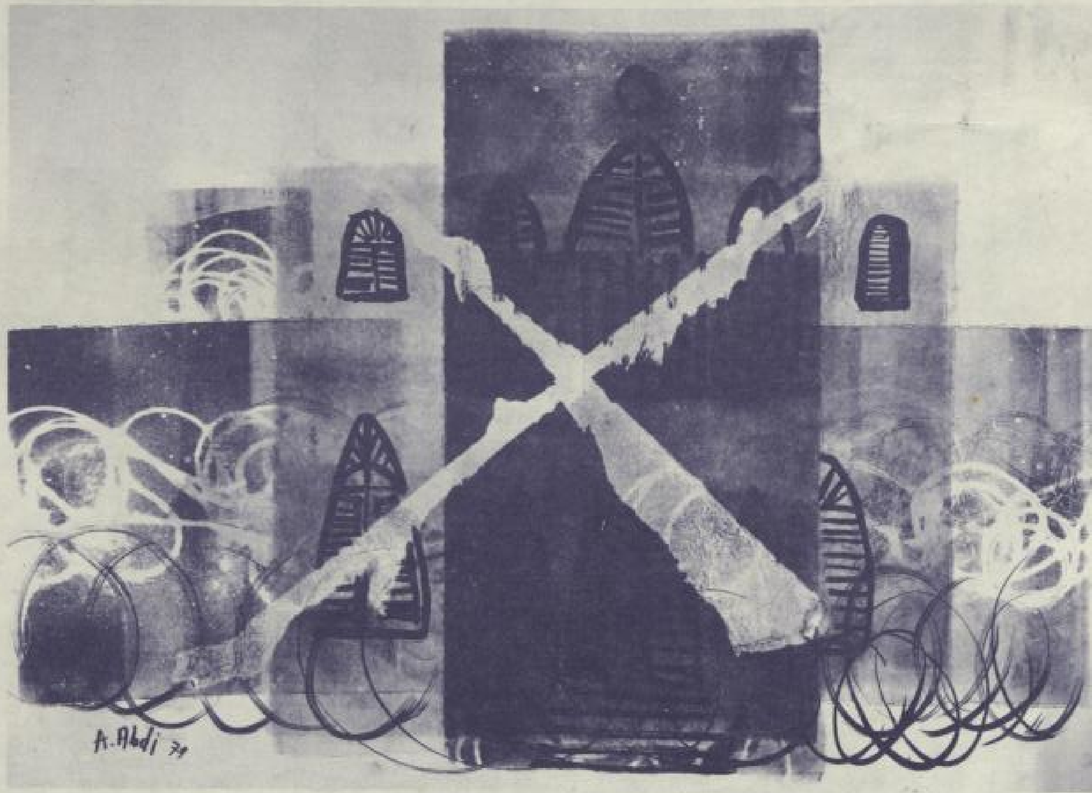
٢٩ـ المصدر ذاته ص ٨٠

٣٠ ـ المصدر ذاته ص ٧٧

٣١ـ المصدر ذاته ص ٧٦

من وحي الاحتلال

بريشة الفنان: عبد عابدي



الجديد

* شهرية ثقافية – تأسست فى حيفا عام ١٩٥١ *

الاتحاد

זו הדרך

الجديد

الغد